الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلـة

معـهد الآداب واللغـــات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجـع :

الفروسّية في شعر أبي فراس الحمداني
دراسة فنيّة

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبـة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديـــم

إعـــداد الطالـــب(ة):
* سوسن غمري

إشـــراف الأستاذ(ة):
عاشور توامة

السنـة الجامعيـة: **2013م/2014م**

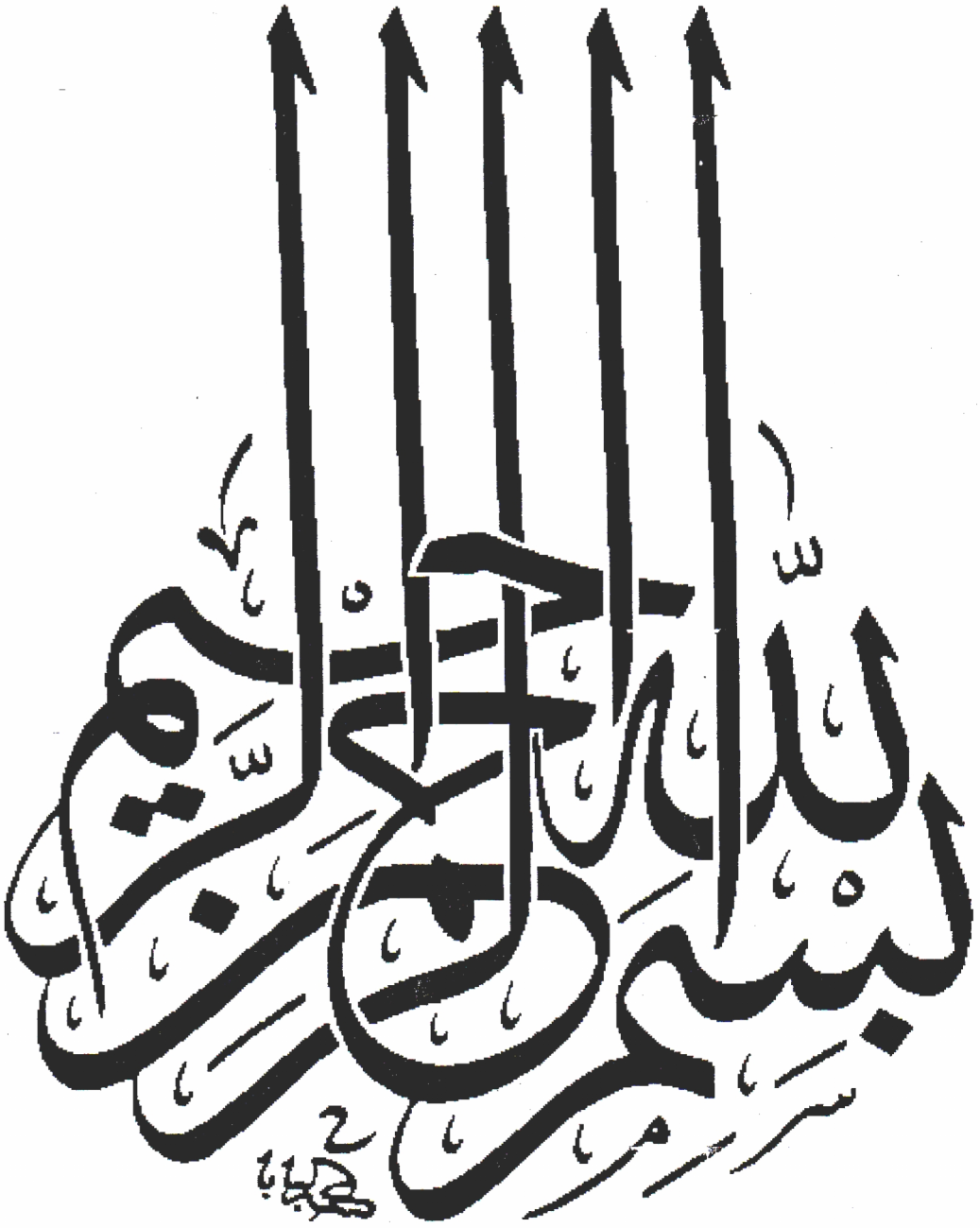
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى: « وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »

أول الشكر هو لله عز وجلّ على توفيقه في تقديم هذا البحث ثم أشكر أساتذتي و في مقدمتهم أستاذي المحترم "عاشور توامة" الذي ساعدني في هذا المشوار، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري لأعضاء لجنة المناقشة.

مقدمة

احتلت الفروسيّة مكانة كبيرة في حياة العرب عامة والشعراء خاصة، فقد كانت ولا زالت معينا عذبا لشعراء يستبقون منها أروع قصائدهم، فقد شغلت الكثير من حياتهم، فكانت رمز القوة والبأس والشجاعة، فالشاعر عبّر عن الفروسية تعبيرا صادقا، فوصف المعارك التي خاضها، ووصف الجيوش والخيول والسيّوف، كما صّور القتل والسفك والضّعف والانكسار.

وتعود أهمية هذه الدراسة إلى كونها تساهم ولو بقدر قليل في إثراء أدبنا العربي، إضافة إلى مدى أهمية وروعة شعر أبي فراس الحمداني، وتأثيره على القارئ. وتكمن إشكالية هذه الدراسة حول ماهية الفروسّية، وكيف كانت في شعر أبي فراس، وما هي مقوّماتها، وما هي صورها؟

أما دواعي اختيار هذا البحث فهو إعجابي الشديد بالشّاعر الفارس أبو فراس الحمداني، نظرا لرهافة شعره، وصدق تجربته، وعاطفته، وجمال وروعة بيانه الذي أضفى عليه ألوانا من أصالة القديم وعذوبة الحديث، فحمل شعره الكثير من الأغراض التي عبّرت عن أحساس صادق مرهف مليء بالمشاعر، تجعل المتلقي يتفاعل ويتأثر به.

هذه الدراسة ما هي إلا استكمال لدراسات سابقة درست شعر أبي فراس، وبذلك لم تكن هذه الدراسة الأولى في موضوعها، بل سبقتها دراسات أخرى مثل: **شاعر بني حمدان** لأحمد بدوي، **أبو فراس الحمداني حياته وشعره**لعبد الجليل حسن عبد المهدي كذلك كتب عنه محمد حمود كتابا بعنوان **أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان.**

واستعنت في هذه الدراسة بمعطيات المنهج الوصفي التحليلي، كما استعنت بمعطيات المنهج الفني الذي ساعدني على التطرق لمختلف الجوانب الفنية التي أحدثها أبو فراس في قصائده.

بدأت أولا بمدخل عرّفت فيه الفروسيّة لغة واصطلاحا وتطورها عبر العصور، كما تعرضت إلى سيرة قصيرة لأبي فراس الحمداني الفارس الشاعر والأمير.

في الفصل الأول من البحث تم التطرّق إلى أهم مضامين الفروسية، إضافة إلى تبيان العلاقة بين الشعر والفروسية.

أما الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي للموضوع، فكان عبارة عن دراسة فنية لشعر الفروسيّة من حيث العاطفة، التجربة الشعرية، اللغة والأسلوب، الموسيقى والصورة الشعرية.

والخاتمة في الأخير، أتيت بأهم النتائج التي توصّلت إليها في هذه الدراسة.

اعتمدت في هذه الدّراسة على جملة من المصادر والمراجع ساعدتني في هذا البحث أهمها كتاب **مع المتنبي شعر الحماسة والحكمة** لهادي نهر وكتاب **الحيوان** للجاحظ.

وقد واجهت بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث من بينها محدودية زمنية إنجازه، وكذا قلة المراجع وعدم توفر كثير من الدراسات حول هذا الموضوع، ولكن بعون الله وفضله علينا تم التوفيق في إتمامه.

وعرفانا مني بالفضل فإني أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف الذي تولى مهمة الإشراف والتأطير لهذا البحث منذ أن كان نواة لفكرة تتخمّر إلى أن أصبح موضوعا ساطعا محدد المعالم.

وفي الأخير أقول بأنّي لا أدّعي الإحاطة بجميع جوانب هذا البحث فما هو إلا لبنة بسيطة تضاف إلى صرح المعرفة. ولكن آمل أن أكون قد ساهمت ولو بالقدر القليل في هذه الدراسة الأدبية لهذه الشخصية العربية الشعرية الأصيلة.

وما أرجوه من لجنة المناقشة سوى تثمين هذا الجهد المتواضع إما بالإضافة أو التوجيه أو التعديل.

مفهوم الفروسيّة :

الفروسيّة ظاهرة انسانية لصيقة بحياة العربي في الجاهلية نتيجة لظروف طبيعية واجتماعية، وهي تدل على القوة والشجاعة "إذ عرف عن العرب منذ القدم أنهم أصحاب مبدأ في الحياة، لذا وضعوا أمامهم صورة للرجولة الحقّة، شبّت مع بعضهم لتصبح سجية،واقتدى الآخرون بها على مرّ السنين، وأكسبتهم الحياة شجاعة في حِلّهم وترحالهم، ساعدتهم على ذلك بيئتهم التي نشوا فيها"[1]. ومن أهم الشروط الأساسيّة التي قامت عليها الفروسية هي القوة التي كانت بدورها أساسية في وجود الإنسان، وعاملا من العوامل المهمة التي تؤدي دورها الفاعل في مجتمعه، فقد كان الفارس مَكْرُمَة من مكارم قومه وقبيلته ومفخرة من مفاخرها، تعتز به وتُشيد ببطولته، فقومها قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم.

وقد ارتبطت الفروسيّة بالحرب منذ أن وعى الإنسان دور الخيل فيها، وأيام العرب حافلة بحروب قامت بسبب عوامل تتعلق بطبيعة الحياة الصحراوية، بما فيها من قسوة المناخ وطبيعة الفكر العربي المتمثل في حب القبيلة وحماية الجار والأخذ بالثأر، ونتيجة لتعوّد البدوي على حالة تأهب لمواجهتها.

والفارس الكامل في نظر العرب هو من يحمي الضعيف من بطش القوي، وينصر المظلوم على الظالم وهو من يفتح صدره للبائسين ويتطوع لمحاربة الشر، ويجير من استجار به.

وتعرَّف الفروسيّة لغة في معجم **لسان العرب** لابن منظور في مادة الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى في ذلك سواء. والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب والجمع فرسان، وفوارس.....

---

(1) ضياء عبد الرزاق الغاني، الصورة البدوية في الشعر العباسي، ط1، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2010م، ص226.

والفرسان: الفوارس، قال **ابن سيده:** ولم نسمع امرأة فارسية والمصدر الفراسة والفروسيّة، ولا فعل لـه.

وحكى **اللحياني** وحده: فرَس وفَرُسَ: إذا صار فارسا وهذا شاذ[1].

وجاء في معجم العين **للخليل الفراهيدي:** فرس: هذا فرس وهذه فرس والفروسيّة: مصدر الفارس، لا فعل له، والفراسة: مصدر التفرس، والفرس: دقّ العنق... وأبو فراس: كنية الأسد وكنية الفرزدق أيضا[2].

وجاء في **المعجم الوسيط** بمعنى: فَرُسَ: أي حذق أمر الخيل وأحكم ركوبها، فهو فارس بالخيل[3].

أما اصطلاحا فتعرّف بأنها " نظام عسكري إقطاعي خاص بالنبلاء وظهر في العهد الإقطاعي، وثمة نوع آخر ظهر إبَّانَ الحروب الصليبية يجمع بين الدين والحرب، ثم نوع ثالث ظهر بعد انتهاء الحروب الصليبية يختلف في أهدافه وغاياته عن النظاميين، وإن لم يعمَّر طويلا "[4].

والحديث عن الفروسيّة يقتضي العودة إلى الأصل لتسميتها، لأن الفروسيّة عند العرب في الجاهلية كانت تعني الفتوة، وتمثل الشجاعة والوفاء والسخاء والإيثار والكرم، والعديد من الصفات الحميدة التي يتّصف بها الفتى، مما يجعله السيد الذي نال الشرف بأخلاقه الكريمة، وبأفعاله الجليلة، وهو مهيأ في كل وقت قد يطلب منه مديد العون لقومه.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار الصبح، لبنان، 2006م، مادة الفرس، ص234.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان2003م–1424هـ،ج3،ص311.

(3) إبراهيم حسن الزيّات وآخرون، معجم الوسيط، ط2، دار الدعوة، مصر، اسطنبول–تركيا، 1989م، مادة الفرس، ج1، ص673.

(4) عمر الدسوقي، الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، ط4، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص260.

يقول في ذلك **طرفة بن العبد:**

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتى خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيْتُ فَلم أَكْسَل وَلَمْ أَتَلَبَّدِ[1]

فهو يبين أنه دائما في خدمة قومه، لا يتوانى لحظة عن الوقوف إلى جانبهم، ويقول أيضا:

فإِن تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

أي أنه دائم التجول في قبيلته، إذ يعدّ من أصحاب الرأي والوجاهة كما أنه دائما يتردد على الحوانيت فإنه ممن يطلب اللّذة ويتعاطى شرب الخمر في هذه الأماكن، يسقي غيره من سخائه وكرمه.

والفتى عرف في العصر الجاهلي بأنه هو الذي تتوفر فيه الصفات التي تتطلبها على أتم وجه كالفروسيّة والشهامة والشجاعة والمروءة والكرم، وهذا ما ينشأ عنه ترابط وثيق قائم بين الفتوة والفروسيّة فكلاهما تُكَمِّل الأخرى.

لم يكن العرب في الجاهلية يهتمون بشيء من الحيوانات قدر اهتمامهم بالخيول، وكانوا يرون أنه لا عزّ إلا بها ولا قهر للأعداء إلا بسببها فكانت تنال تكريمهم إلى درجة تفضيلهم إياها على أولادهم وأنفسهم، ولأنها المعين الرئيس لهم في الحروب إذ أن" العرب كانوا في جاهليتهم أمة حرب في أغلب الأحيان وقعت بينهم وقائع دامية عرفت بأيام العرب، تناول أغلب شعرهم في فلكها، تغنَّوا بالصبر على الحروب، فقال قائلهم:

فَلَسْنَا عَلى الأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُومُنَا ولَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

وقال آخر:

مُحَرَّمَةٌ أكفال خَيْلِي علَى القَنَا وَدَامِيةٌ لُبَاتُهَا وَنُحُورُهَا

حَرَامٌ علَى أَرْمَاحِنا طَعْن مُدْبِرٌ وَتَنْدَقُّ مِنْهَا فِي الصُدُورِ صُدُورِهَا[2]

---

(1)طرفة بن العبد، الديوان، دار صادر، بيروت، ص ص29،30.

(2) هادي نهر، مع المتنبي شعر الحماسة والحكمة، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد–الأردن، 2010م، ص47.

وتؤكد العديد من الكتب أنه كان للفروسيّة والفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر والمكانة الأولى بين العشائر والقبائل، وكان الدفاع عن الضعيف والانتصار للمرأة والشهامة وغيرها من الصفات التي يفخر بها فرسانهم، وكانوا سيجلون بطولاتهم بأشعارهم، فتنشر بين القبائل ويُتَغَنَّى بها في الأسواق وفي البادية والأمصار، وكان الناشئ من أبنائهم لا يكاد يصل إلى الثامنة من عمره حتى يُحَنَّكَ عليه أن يتعلم ركوب الخيل.

ويتدرب على فنون الفروسيّة، والعرب كانوا منذ جاهليتهم فرسانا كماة، تجري الفروسية في عروقهم، كما تجري الدماء في شرايين الجسم، وقد خلّد التاريخ سير عشرات من الفرسان الذين تمثلت فيهم صفات العروبة الحقّة الجيّاشة بالفتوّة والبسالة، المثيرة للفخر والإعجاب، ومن أشهر أولئك الفرسان البواسل:

عنترة بن شدّاد:وهو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، اشتهر بشعر الفروسية.

ذاق عنترة مرارة الحرمان وشظف العيش ومهانة العبد، لأن أباه لم يستلحقه بنسبه، فقد كان أبوه يعاقبه أشدّ العقاب على ما يقترفه من هنات، وكانت سمية زوجة أبيه تدسُّ له عند أبيه الدَّسائس، وتحوك ضده المكائد حتى يغضب منه والده.

ولكنه رغم كل ذلك لم يعرف اليأس أبدا، بل استغل ذكاءه في إبراز نفسه، وشجاعته لقومه، إذ يعتبر أحد الأبطال الشجعان وأمهر الفرسان، إذ تم الاعتراف به وببطولته وفروسيته التي اشتهر بها، وتميز بها عن غيره، إذ قال الأسد الرهيص الذي يزعم أنه قاتِلُه:

أَنَـا الأَسَدُ الرَّهِيصُ قَتَلْتُ عَمْرًا وَعَنْتَرَةُ الفَوَارِسُ قَدْ قَتَلْتُ[1]

وهذا اعتراف واضح بفروسية عنترة الذي لم تكن عنده عبثا وإنما نتيجة لخبرة طويلة في

(1) الخطيب التبريزي،شرح ديوان عنترة، ط2 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 2004م، ص09.

وها هو يرسم لنا صورة عن فروسيته من خلال بسالته وسرعته في القتال، إذ يقول:

وَمُدَجَّجٍ كُرْهَ الكَمَاةِ نِزَالَـهُ لاَ مُمَعِّنٌ هَرَبـاً وَلاَ مُسْتَسْلِمُ

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَـةٍ بِمُثَقَّفٍ صِدْقَ الكُعُوبِ مُقَـوَّمِ

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الكَرِيمُ علَى القَنَا بِمُحَرَّمِ

فَتَرَكْتُهُ جَزْرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَـهُ يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ[1]

فهو الفارس الشجاع الذي يكرُّ نحو عدوه كرة الأسد الرئبال، لذلك عُدَّ أشد بني قومه بأسا وبطشا، ولكن رغم هذا فهو متواضع، كريمة نفسه وشرفه إذ يقول:

يُخْبِرِكَ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَنِّي أَغْشَى الوَغَى وَأَعِفَّ عِنْدَ المَغْنَمِ[2]

وإلى جانب هذا البطل المقدام نجد" عمر بن مالك بن ثابت بن أوس الأزدي الملقب بـ **(الشنفرى أو الشنفرة)**، عاش صعلوكا لصا مرهوب الجانب لا معتصم له سوى الجبال، يغير ثم يأوي إليها "[3].

ويعدّ من فحول الطبقة الثانية، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم، إذ كانوا يتميزون بسواد بشرتهم، فتركهم آباؤهم ونبذوهم لعار ولادتهم.

لذلك كان الفقر والنفس البدوية العزيزة مصدر شعر **الشنفرة** فجفاف الصحراء ومطاردة الشدائد كرًّا وفَرًّا، والتنكر للمذلة وإيثار الوحوش على الأهل لأنها أحفظ للسرّ وأحرص على الجار وإن جار، والاكتفاء بالقليل مادة وسكنا، والصبر على الجوع وإيثار التراب على طعام المتفضلين، ومجاراة الأيَّام، والقبول بالفقر على الغنى والارتياح إلى القوس[4].

المدخل

(2) المرجع نفسه، ص24.

(3) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1986م، ص171. من قبيلة

(4) عبد المعين الملوحي، اللاميتان، ط1، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1966م، ص ج. تى

ظفر به أحد من أفراد قبيلة **بني سلمان**، إذ قالوا: «كان يترصد الواحد منهم حتى يمر أمامه فيصوب سهمه إليه ويقول له: "لطَرْفُكَ"، ثم يرميه فيصيب عينه»[1].

وقد قتل تسع وتسعين من رجالها، أما القتيل المائة فقيل أنه بعد موت **الشنفرة** رفسه القاتل على جمجمته فدخلت شظية في قدمه وقتلته.

وأشتهر **الشنفرة** أكثر من أقرانه من ما يعرف بشعراء الصعاليك بفضل قصيدته المطولة: "لامية العرب" التي اعتبرت بأنها واحدة من أهم وثائق الفن والحياة المعبرة عن نموذج المعيشة الجاهلية، ففيها يطلعنا **الشنفرة** على حياة الصعلوك، وتمرده، وشجاعته، وصبره وتظهر اللامية حماسة الشاعر للصحراء، وتطلعه إلى الحرية والوحدة، ومغامراته في سبيل إكفاء نفسه وأصحابه.

وشهد حلول الإسلام تمجيدا قويا للفروسيّة، وقد أوصى بارتباط الخيل وإكرامها، وقد ورد ذكر لفظ الخيل في أكثر من آية في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:« وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا[1]» سورة العاديات.

فقد أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة ونعمه الظاهرة ما هو معلوم للخلق.

ويأتي ذكر الخيل في أحاديث سيد الخلق محمد– صلى الله عليه وسلم– مدحا وتكريما: « من ارتبط فرسا في سبيل الله كان له مثل أجر الصائم، والباسط يده بالصدقة مادام ينفق

---

(1) عبد المعين الملوحي،اللاميتان، ص د.

(2) محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي،صحيح البخاري، ط1،تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر

كما جاء في حديث آخر: « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة»، كما كان – صلى الله عليه وسلم– يحث قومه على تعليم أبنائهم الفروسيّة إذ يقول:« علموا أبنائكم السباحة والرماية وركوب الخيل»[1].

وأشهر الفرسان الذين برزوا في العصر الإسلامي، وكانت تروى حول بطولاتهم قصص كالأساطير:(**معين بن زائدة، أبو دلف العجلي، عمر بن منيف)** الذي قيل أنه خرج ذات يوم للصيد فتتبع حمارا وحشيا ومازال يركض بفرسه حتى حاذاه ثم جمع رجليه ووثب على ظهره، وأخذ يجز عنقه بسكينه وهو يقاوم بعنف حتى ذبحه.

ومن أشهر فرسان الخوارج **قطري بن الفجاءة، وشيب الخارجي** الذي نذرت امرأته ذات يوم أن تصلي في جامع الكوفة وهي معقل خصومه ركعتين تقرأ في أولاهما سورة البقرة، وفي الثانية سورة آل عمران، فعبر بها الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى أوفت بنذرها، وكان الحجاج في المدينة على رأس خمسين ألفا من الجند.

وبوصولنا إلى العصر العباسي نقابل فارسا من فرسان العرب المعدودين المبدع في الفروسية قبل الشعر، وهو **(أبو فراس الحمداني)**، وهبه الله عز وجل قوة البأس، وقوة اللسان، وسلاح الحرب، وسلاح القافية.

"ينتمي أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد إلى نسب عريق، فهو من الأسرة الحمدانية التي يرجع نسبها إلى تغلب، وهي من أعظم القبائل العربية شأناً منذ الجاهلية"[2].

إذ أنها أسرة حاكمة تنسب إلى حمدان بن حمدون فهو: **(الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي)**.

---

(1) محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي،صحيح البخاري،ص76 .

(2) عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، ط1، دار جرير، عمان–الأردن، 2011م، ص225

"قيل أنه ولد في الموصل فسمَّاه والده الحارث وكنَّاه أبا فراسأي الأسد، ولم يخيب ظن والده فقد كان فارسا من الفرسان المعدودين"[1] وكان أبوه سعيد بن حمدان عم ناصر للدولة، وكان بطلا يعتمد عليه الخليفة المقتدر على رد هجمات الثائرين، ولغزو الروم في عقر دارهم، وولاّه الخليفة الراضي إمارة الموصل على أن يطرد منها أبن أخيه. إلا أن ناصر الدولة كان أخفّ بالدفاع عن نفسه ففتك بعمه وأوقف الخليفة عند حدّه.

"وقتل أبو العلاء سعيد بن حمدان، وترك بعده طفلا دو الثالثة من العمر وهو الحارث المعروف بأبي فراس. وكانت ولادته في الموصل سنة 320هـ–932م، وكان ابن عمه سيف الدولة أميرا يتنقل في خدمة الخليفة بين بغداد والموصل وديار ربيعة، ثم اقتطع لنفسه حمص وحلب واستقل فيها بالإمارة، فعطف على الطفل اليتيم وتعهده بالعناية والرعاية، وحمله معه إلى بلاط حلب، وأنشأه على الفروسية وأنمى مواهبه الأدبية والحربية حتى كان على حد قول الثعالبي:" فرد دهره مجدا وبلاغة وفروسية وشجاعة "[2].

أبو فراس شاعر ليس ككل الشعراء، إنه الفارس المغوار، والشاعر الفذ والأمير اللامع، جاهد في سبيل الله حق جهاده بالسيف والقلم، وحرس حوزة ابن عمه سيف الدولة وقمع شأفة المتمردين الأعراب والزنادقة ومن شعره في الفخر والفروسية وقد أوقع بعدد من قبائل العرب قولـه:

وَلِي مِنَّةٌ فِي رقَابِ الضَبَّابِ وَأُخْرَى تَخُصُّبَنِي جَعْفَرِ

عَشِيَّةً رَوَّحْنَ مِنْ عَرَقَـةٍ وَأَصْبَحْنَ فَوْضَى عَلَى شَيْزَرَ

وَقَدْ طَـالَ مَا وَرَدَتْبِالجَبَاةَ وَعَاوَدَتِ المَـاءَ فِي تَدْمُـرَ

قَدَدْنَ البَقِيـعَةَ، قَدَّ الأَدِي

---

(1)أبي عبد الله الحسين بن خالويه، ديوان أبي فراس الحمداني، دار صادر، بيروت.

(2) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1986م، ص820.

(3) ديوان أبي فراس الحمداني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص92.

*قددن: قطعن.

وفي الأخير وبعد الدراسة لبعض الفرسان الشعراء من شتى العصور نلحظ أن الفروسيّة قائمة على بعض الشروط لابد أن تتوفر في الفارس، فقد بحبه لها وتعلقه بالخيول، وشغف اقتنائها، والعناية بها، وكانت طبيعة بلادهم الجغرافية العربية أو الغربية وعلى وجه التحديد لأن للطبيعة الدور الأول الذي جعل العرب تعتني بالخيول وتربيتها لذلك كان لابد أن تكون في الفارس بعض المميزات التي يتفرد بها عن غيره ومن بينها:

أ- "**الشجاعة**": هي شرط أساسي لابد لأن تتوفر في الفارس، فهي شجاعة لا تستطيع إنكارها أو تهميشها، رغم أنها كانت غير مهذبة ينقصها الإيمان بالمثل العليا، وفيها قسوة وغدر، فتاريخ الحرب المسيحية ملطخ بالدماء نتيجة أحقاد بالغة ووحشية فضيعة لا تمت إلى الإنسانية بصلة أو إلى الدين، وقلما نجد نبيلا أو معاملة طيبة في حروبهم، بل ترى الغدر والخيانة ونقص العهود بشيمتهم

والأكثر من ذلك أنهم كانوا يضنون أنهم يملكون رجاحة العقل ووجاهة الرأي[1].

ب-**التقوى والجهاد:**فالتقوى من الأصول الدينية تشترط في الفارس أن يصدق تعاليم الكنيسة وأن يمتثل لأوامرها، حتى وإن أدى هذا الاستشهاد في سبيل عقيدته لأن جزاءه جزاء ذلك هو دخول الجنة، فجهاده كان من أجل حماية الكنيسة والدفاع عنها وتقويتها ونصرتها بالمال والنفس، لأن هناك أمر آخر لابد منه، وهو أن يشن الفارس حربا على الكفّار الملحدين قصد إخضاعهم لأمر الكنيسة على أن تكون حربا لا رحمة فيها ولا شفقة وهو أمر إيجابي، وهذا الشرط هو شرط ديني بالدرجة الأولى.

ج-**القوة:** فالقوة البدنية مطلوبة أيضا في الفارس حتى يتمكن من مواجهة أهوال الحروب ويصبر على مشاقها، كما تكون له قدرة امتطاء الخيل والعدو بها.

---

(1) عمر الدسوقي، الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، ص260.

إلى جانب هذه الشروط، فللفروسيّة مقومات والتي يمكن إيجازها في ثلاثة محاور:

أولها: الغلام: وهو الذي تستبشر القبيلة بقدومه لكي يكون أحد فرسانها، المدافعين عنها، فهو الفارس المرتقب.

وثانيها: الشاعر المتحدث، والناطق باسم القبيلة، الممجد لها، والمدافع عنها. ففي نبوغه،نبوغ لهم على أعدائهم.

آخرها: الفرس، التي هي خير معين للفارس في حروبه، ومن أهم أسلحة النصر عندهم.

الفصل الأول

مضامين الفروسية و علاقتها بالشعر

1- صورة الفارس

2- صور الحرب وأدواتها

3- علاقة الفروسيّة بالشعر

1-صورة الفارس:

وهب الله عز وجل عبده أبا فراس الحمداني قوة اللسان وسلاح القافية، وقوة البأس وسلاح الحرب، رغم أنه أبدع في الفروسية قبل الشعر. وقد ارتبط شعره كثيرا بالفروسية وكانت حاضرة باحتلالها الجزء الأكبر من ديوانه.

وبالتمعن في شعر أبي فراس نجد أن أول مظاهر الفروسية تتجلى في الفارس الذي يعد عماد الفروسية، فمن خلاله تتضح لنا رؤية المعنى الحقيقي للفروسية ومضمونها، فهو الذي أعدّ نفسه للمبارزة والقتال، وتحلى بأخلاق الفرسان الشجعان، وحارب من أجل قومه ونصرتهم، وكان يعبر عن ذلك بواسطة شعره. غير أن أبا فراس لم يرض أن يكون من الشعراء وهذا ما يترجمه قوله:

فَحَمَ الغَبِّيُ وَقُلْتُ غَيْرَ مُلَجْلَجَ إنِّي لَمُشْتَاقٌ إلَى العَلْيَاء

وَصِنَاعَتِي ضَرْبُ السُيُّوف وَإِنَّني مُتَعَرِّضٌ فِي الشِّعرِ بِالشُعَرَاءِ[1]

ويكشف في قوله هذا لو تنفى عنه صفة الشعر، وتثبت له صفة الفروسية لأنه يفتخر بها، ويود لو يقترن اسمه بها.

وتجربة الشعر والفروسية هذه عند أبي فراس الحمداني كانت من التجارب الفريدة في الشعر العربي، وأفضلها فقد استخدم الشعر وسيلة للتعبير عن بطولاته وتجاربه.

وعلى الرغم من حرص أبي فراس أن لا يكون من الشعراء كما ذكرنا سابقا، إلا أن أبياته تبين لنا القيمة الحقيقية للشعر في حياة الفارس، فقد كان يربط كثيرا بين الفروسية والشعر، ويوّحد بينهما.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، ص13.

يقول أبو فراس معترفا بقوة شعره، وأنه يساوي أو يعادل شجاعته في الفروسية:

جِنَانِي مَا عَلِمْتُ وَلِي لِسَانٌ يَعُدُّ الدَّرْعَ وَالإِنْسَانُ غَضَبُ[1]

ويقول أيضا:

فَإِذَا بْطَشْت بَطَشْتُ لَيْثاً بَاسِلاً وَإِذَا نَطَقْت نَطَقْتُ عَنْ تِبْيَانِ[2]

إن المتأمل في شعر أبي فراس يجد أنه يخلو من كثير من الأغراض الشعرية كالمدح – إلا لآبائه وآله– والهجاء والمجون، بل تجد أنه يعنى من الشعر إلا بما يعبر عن مشاعره وحبه أو الصادقة، إذ قال عنه كثير من النقّاد أن شعره صورة تعكس شخصيته فهو إن كان شاعرا، فهو فارس وأمير وقائد، لذلك فهو يعمد إلى أغراض شعرية بعينها يعبر من خلالها عن تجربته الذاتية كالفخر مثلا، حيث نجده يقول مفتخرا بشعره:

هَذِي محبَّرَةٌ يُشَاكِلُ نَظمُها عِقدًا علَيه لُؤْلُؤٌ وَزَبَرْجَدُ

لَو كَان شَاهِدَهَا حَبِيبُ لَمْيَقُل رَدَّت عَلَيهِ الجَاهليةُ مُهَدَّدُ[3]

كما يفخر أبي فراس بكمال أخلاق قومه، فمنهم يجمعون بين الفروسية والكرم، حي أصبحت تلك الصفات وكأنها مقصورة عليهم:

إذَا مَررْتبِوَادٍ جَاشَ غارِبُهُ فاعْقِل قَلُوصَكَ وانزِل، ذَاكَ وَادِينَا

وَإِنْ عَبرْتَ بِنادٍ لاَ تطيق بِه أَهْلَ السَفَاهَةِ فاجْلِسْ ذَاكَ نَادِينَا

وَيصبِحُ الضَيْفُ أولاَنَا بِمنزِلنَا نَرضَى بِذَاك وَيْمضِي حُكْمَهُ فِينَا[4]

فقد بين أبو فراس أن الوادي الذي فاض بالماء دليلا يدل الضيف على قومه، ويطلب منه النزول فيه، وان يربط عقال ناقته، وأن يستمتع بالبقاء عند قومه الذين يجعلون من الضيف أولى منهم بمنزلهم.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص31.

(2) المصدر نفسه، ص59.

(3) المصدر نفسه، ص72.

(4) المصدر نفسه، ص279.

ويواصل الشاعر الفارس افتخاره بقومه، بل نراه يخص بعض الأبطال منهم بالذكر، فمن ذلك قولـه:

(حَمْدَانُ) جَدِّي خَيْر مَن وَطِئَ الثَّرى وأبِي (سَعِيدُ) فِي المَكارِمِ أَوْحَدُ

أَعْلَـى لنَـا (لُقْمَانُ) أبْيَاتَ العُلاَ وَأَنَافَ (حَمْدَانٌ) وشيدَ أَحْمَدُ

والمَجْدُ يوجَدُ عنْدَنـا بِأُرُومِـهِ والعَارُ والفحْشَاءُ مَالاَ يُوجَدُ

والفَخْـرُ يُقْسِـمُ أننَـا أرْبَابُـهُ دونَ البَرِيَّةِ والمَكَارِ مُتَشْهَدُ[1]

ومن ذلك فالشاعر إذ عمد إلى غرض الفخر، فلن يجد أفضل من قومه يفخر بهم، فهو يرى أنهم الأجدر والأحق بأبيات شعره.

ويقول مفتخرا:

سلَي عنَّا سُرَاةَ بنِي كِلاَب بِبَالسَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ العَوالِي

لَقَينَـاهُم بِأسْيَافٍ قِصَار كَفينَ مَؤونَـةَ الأَسَلِ الطوَال*

وَولَّى بابْنِ عَوْسَجَـةَ كَثيرٌ وَساعُ الخَطْوِ فِي ضَنْكِ المجَالِ**

يَرَى البَرغُوثَ، إذَا نجّاه منَّا أجَـلَّ عقيلَـةٍ وأحثَّ مَـال***(2)

وتجده يعرض لبطولات فرسان قبيلته، فذكر والده الذي يقول فيه:

غزَا الرُّوم لمْ يَقصِدْ جَوانبَ عِزَّةٍ ولاَ سَبقْتـهُ بالمـرَاد النَذائـرُ

فَلَمْ تَرَ إلاَّ فَالقاً هَامَ فَيْلَقٍ وبحْرًا لهُ تَحْتَ العَجاجَةِ مَاخِر(3)

فالفارس يستطيع أن يقضي على جيش بأكمله لما يتميز به من شجاعة وقوة وإقدام

ويصور لنا شجاعة ابن عمه (أبي زهير):

طُلْت في الضَّربِ للطُّلاَ عَن شَبيه وَتعَالَيْتَ فِي العُلا عن نَظِير[4]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص279.

(2) المصدر نفسه ، ص95.

(3) المصدر نفسه ، ص228.

(4) المصدر نفسه ، ص163.

*الأسل: الرماح / ** ضنك المجال: ضيّقه / *** العقيلة: أثمن ما يملكه ويدافع عنه كالزوجة مثلا.

فهو في الحرب كالأسد، يقاتل الأعداء وينصر كل من طلب العون والمساعدة والإجار، فليس له نظير في طلب العلا، ولا شبيه له في ضرب الرقّاب.

وقد رسم أبو فراس لسيف الدولة صورة (الفارس النموذج) فهو يرى فيه صورة البطل الفارس، والأمير الرئيس، الجامع لكل صفات العز والمجد، والمعروف بفضله وسماحته وصواب رأيه، وهي جميعا يفخر بها الشاعر ويعتدّ بها.

فيقول:

ألاَ قُل لِسَيْفِ الدَولـةِ القَرْمِ إنَنِّي علَى كُلِّ شَيءٍ غَير وَصْفِك قَادرُ

فلاَ تُلزمْنِي خُطَّةً لا أُطيقُـها فَمجْدُك غَلاَبٌ وفَضلُكَ بَاهِرُ

ولَوْ لم يَكن فَخْري وفَخرُكَ واحدًا لَما سَارَعَنـي بِالمَدائِـحِ سَائِرُ

ولَكِنَّني لا أُغْفِل القَولَ عن فَتًى أُساهِمُ في عَلياَئِـه وأُشَاطِرُ[1]

ولا شك أن فروسيّة **سيف الدولة** وحبه للأدب والفكر وتقريبه لأبي فراس منه واصطحابه إيّاه، وإجلاسه في مجالسه منذ صغره كانت مؤثرا قويا في أدب أبي فراس وشعره، إضافة للعنصر الحمداني الذي كان يجري في عروق أبي فراس مجرى الدم، عوامل هيّأت للشاعر أن يَبْرُزَ، وسيف الدولة كان يرى في أبي فراس كل صفات الشجاعة والفروسيّة منذ صغره، فأعدّه إعدادا متكاملا، وبالتالي استفاد أبو فراس من مواهب **سيف الدولة** وتميزه، فقد كان ذا فراسة عالية، ونظر ثاقب، وأبو فراس لا ينكر ذلك بل يعترف باليد الطُّولالسيف الدولة الذي كان أبا ثانيا لأبي فراس فيقول في ذلك:

هَيْهَاتَ لا أَجْحَدُ النَّعمَاءَ مَنعِمُها خَلَفتْ يا ابْنَ أَبِي الهَيْجَاءُ فِيَّ أَبِي[2]

وقال:

عَليَّ لِسيْفِ الدَّولـةِ الملكُ أَنْعُمٌ أَوَانسُ لا يَنْفرَنَّ عنِّي رَبائِـب

أَأَجْحدُهُ، إحسانَـهُ بِي إنَنِّـي لَكافِرُ نُعمَـى إن فَعلْت موَارِبُ[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص113.

(2) المصدر نفسه ، ص52.

(3) المصدر نفسه ، ص62.

لذلك كان الفضل معظمه لسيف الدولة الذي أتاح له كل فرص التقدم والبروز حتى صار ألمع الشخصيات في بلاط حلب.

وهاهو أبو فراس يذكر نسبه في شعره وذلك عندما افتخر بنسبه التغلبي العربي الأصيل إذ يقول:

حَمدانُ جدِّي خير مَن وَطئ الثَرى وأَبِي سَعيد في المكارِمِ أوْحَد
أَعْلَى لَنا لُقمانُ أبَياتَ العُلاَ وَأَنَافَ حمدَان وشيَّد أحْمَدُ
يُعطِي إذا ضنَّ السَّحابِ تَكَرُّمًا وَيُجير إن جَار الزَّمانُ الأنكَدُ[1]

من يتمعّن في شعر **أبي فراس** يجد أن أسرته **آل حمدان** تحتل جزءا كبيرا من فخرياته، وذلك شيء طبيعي لأنه بإشارته إلى نسب آبائه وأجداده، بما يرى أنهم أهل له من المحامد والمفاخر، فهو يشير إلى نفسه التي ورثت هذا المجد فتشرّبته وعلت به بما أدّاه **أبو فراس** من شجاعته وقوته، فقد ألهمته محامد شمخ بها، بعد أن شمخ بنفسه فلا يحق لأحد أن يفاخر بنفسه، أو بأهله مع وجود هذه الأسرة، فقد علا ذكرهم حتى جاوزوا الأفلاك رفعة وسموّا.

أيُّها المُبتغِي مَحلَّ بَني حَمْ د مهلاً أتبلُغ الجَوزَاءَ
فَضلُوا النَّاسَ رِفعةًوسُمُوًّا وعَلَوهُم تَكَرُّمًا ووَفَاءَ
يا مُجيلَ الأفْكَار فِيهم إلى كَمْتُتْعِبُ النَّفسَ هلْ تنَالُ السمَاءَ
أُسرَتي لا أقُول فَخْرًا سَرَاةٌحَسبُهم ذَاك مَفْخَرًا وسَناءَ[2]

فعلى مجد **بني حمدان** انفتحت عينا **أبي فراس** فهو من أسرة عريقة بأسًا وشجاعةً وكرمًا ورفدًا، ويؤكد الشاعر أن عز قومه يكمن وراء شجاعتهم:

ولِقَومِي الشرَفُ المنِيعُ محلُّهُ فَوق المَجرَّة والسماكِ المرزِمِ
وَرثُوا الرئَاسة كابِرًا عن كابرٍ من عهْد (عَادٍ) في الزَمَان واجُرْهُمِ
نَحْن البحَارُ بل البِحَار مِياهُها مُلْحٌ، ومَوردُنا لذيذُ المطعمِ[3]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص75.
(2) المصدر نفسه ، ص12.
(3) المصدر نفسه ، ص273.

وهنا يؤكد أبو فراس أن تمكنهم من الفروسيّة وإتقانهم لها هو الذي أوصلهم إلى المكانة العالية.

ويبين الشاعر أن منصب الرئاسة يكون مقصورا فقط على الفارس الشجاع الذي يخوض غمار الحروب مثل سيف الدولة الذي كان صورة للفارس المناضل المقدام:

لِمثلهَا يستعدُّ البَأسُ والكرمُ وفي نظَائِرِهَا تُستنفذُ النِّعمُ

هي الرَئاسةُ لا تفنَى جواهرُها حتَّى يُخاضَ إلَيهَا الموتُ والعدَمُ

تقَاعسَ النَّاسُ عنها فانتدَبت لهَا كالسَّيف، لا نكلٌ فيه ولا سأَمُ

مَا زال يَجحدُها قومٌ وينكرُها حتَّى أقروُّا، وفي آنَافِهِم رُغَمُ[1]

والشاعر يرى أن مقومات الفروسية تتمثل في الشجاعة والقوة والإقدام، وكل هاته المقومات موجودة فيه هو بصفة خاصة وموجودة في قومه بصفة عامة، فكان أغلب شعره يتمثل في الفخر والحمد لنفسه ولقومه:

إنِّي امرؤ (بنِي حَمْدَانَ) مفتخرٌ خَير البَريـة أجْدادًا وأسلافًا

إنِي لمَن معْشَر ماضيهِم جَارهُم ولا أرَى عنْدهُم بُؤسًا ولا خافَا

إذْ حالفَتنَا المعَالي فهِي قَد علِمتْ كانَت لآبَائنا من قَبل أحْلاَفَا

من كُل مشتَمل بالصَبْر مُدَّرِعٍ مَا خَاف قَط، ولاَ والَى، ولا صافَى

مُستقبِلاً لوجُوه القَومِ يَطعَنُهم حتَّى يبيعُوهُ أصلابًا وأكتَافًا[2]

ويقول مفتخرا بشعره وأدبه:

الشِّعرُ ديوانُ العَرَبِ أبدَا وعنَوانُ الأدَبِ

لمْ أعِدُّ فيهِ مفَاخرِي ومدِيحُ آبائِي النَّجِب

وُمقَّعاتٍ رُبمَّا حلِّيت منهنَّ الكتب

لا فِي المدِيح ولاَ الهِجَاء ولا المجُون ولا اللَعَب[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص270.

(2) المصدر نفسه ، ص191.

(3) المصدر نفسه ، ص22.

ويقول أبو فراس فاخرا بقومه:

أتَعجبُ أن مَلَكنَا الأَرضَقَيْسراً وأن تُمسي وسَائدُنا الرقَاب*

وَتربط في مجَالسِنا المَذاكـي وتبَرُك بيْن أرجُلِنا الرِّكـاب**

فهذَا العزُّ أَوْرثنَا العوَالـي وهذا المُلك مكنَّهُ الضرَاب***

وأَمثالُ القسِّ من المطَايـا يجبُّ غرَاسُها الخيلُ العِرابُ

فقصرَا إن حـالَا ملَكتنَـا لَحالٌ لا تُذَمُّ ولا تُعـابُ[1]

ويقول فيهم:

إنَّا إذَا اشتدَّالزَمـانُ ونَابَ خَطبٌ واد لَهُـم

ألفَيْت حوْل بُيوتنَـا عُددَ الشَجاعة والكَـرَم

للقَاءِ العُدَا بيضُ السُّيُوف وللنَّدَى حمَر النِّعم

هذَا وهذَا دَأبُنـا يُودي دَمٌ ويـراقُ دمُ[2]

من خلال الشواهد الشعرية الآنفة الذكر نجد أن أبو فراس يقدّم صورة من صور بطولات قومه عند اشتداد الزمان ونزول المصائب، فهم مستعدون لمواجهة تلك المصائب بكل شجاعة وقوة، فقد اعتدوا على مثل ذلك حتى إن سفك الدماء ودفع الديات أصبح أمرا مألوفا لديهم.

ونجد لأبي فراس أبيات شعرية يصرح فيها بأنه لن يجد أفضل من قومه يفخر بهم، فهم في نظره أحق بشعره، إذ يقول:

وإذَا فخرتَ فخَرتَ بالشّمُ الألَى شادُوا المكَارم مِنْ (بَني حمْدانَ)

نحنُ الملُوك بنُو الملُوك أولي العُلاَ ومَعادنُ السادَات مِن عَدنـَان

وهُمْ أحَق ببَيتِ شعرٍ قدْ مضَى في النَّاس ممْن ضَمَّه الثقَلان

وإذا دعوتُـهم ليَـوم كريهَـةٍ سَدُّوا شُعَاعَ الشَمسِ بِالمرَّان[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص58.

(2) المصدر نفسه ، ص254.

(3) المصدر نفسه ، ص297.

* قيسرا: قهرا /** المذاكي: الخيل الذي تمت قوته /*** العوالي: صفة للرماح.

ويقول:

أُسْدٌ قَساورَ في الحُرو بِ تخَافها الأُسدُ القَسَاوِر

وإذَا رأتْهُ عُداتـه بلغَت قُلوبُهم الحَناجِر[1]

فأبو فراس أجاد وأبدع، ولم يدع شيئا في مدح قومه، فقد وصل به التعبير إلى حدّ المبالغة عن شجاعة قومه بأنهم قادرون على أن يسدوا شعاع الشمس بالمرَّان (الرماح) وذلك لكثرتهم وقوتهم، كما شبههم بالأسود القوية في الحروب.

ويقول:

للهِ درُّك مِن قَوْم أخِي كَرمٍ لا يَنْطقُ المَال إلا فِي تشَكيِه

فالخَيْل يَمنحُها والبيضُ يَثلمُها والسُّمر يَحطِمهَا والقِرنُ يُرْديهِ[2]

ففي هذين البيتين عدد الشاعر صفات الفروسيّة، فقد أعطى صورة كاملة للفارس، فهو الكريم الباذل للأموال والخيول، كثير الضرب بالسيوف، والطعن بالرماح، الذي يقتل أعداءه الذين لا يقلون عنه شجاعة.

وإلى جانب الشجاعة التي كان يتحلى بها أبو فراس وظهر بها على الصورة الحقيقية، فقد كان أبو فراس يتمتع بمناقب أخلاقية أخرى، فقد كان أبو فراس ذا عفة ما جعله يخالف نفسه عن الهفوات فيقول:

وأَجْري لا أُعطِي الهَوَى فَضْل مِقْوَدي وأَهفُو ولاَ يَخْفى عَلَيَّ صوَابُ[3]

كما كان محافظا على العرض فلم تمنعه شجاعته في المعارك والحروب وهيبته عند اللقاء من الحفاظ على أعراض النساء وعدم التعرض لهن بحال من الأحوال بل إكرامهن ومعاملتهن بالحسنى إذ يقول:

وَساحِبةِ الأذْيالِ نَحوِي لَقيتُها فلَم يلقهَا جَافي اللّقاءِ ولاَ وَعْرُ

وهَبْتُ لهَا ما حَازهُ الجَيشُ كلُه ورُحتُ ولَم يُكْشفْ لأَبياتِها سِتْرُ

ومَا حاجَتي بِالمَال أبْغي وُفُورَه إذَا لمْ أفِرْ عِرضِي فلاَ وَفرَ الوفْرُ[4]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص143.

(2) المصدر نفسه ، ص76.

(3) المصدر نفسه ، ص24.

(3) المصدر نفسه ، ص160.

كما كان أبو فراس محسنا للجوار فإنه ليس من صفاته الذود عند الحمى فقط، بل ينطلق ذلك عبر حفاظه على حمى جاره والمسارعة إليه بالخير والوصل والكرم:

أنَا الجَارُ لا زَادي بَطيءٌ علَيْهم ولاَ دُون مَالي للحَوادث بَابُ[1]

كما تميز أبو فراس بالقوة والصلابة وحسن التدين، فإذا ما اجتمعت كانت له هيبته في حفرته أو عند غيابه، كما كان حازما غير متهاون في أمور الدين والدنيا يقول:

ولَكِنَني والحمْدُ للهِ حَازِمٌ أعِزُّ إذا ذلّت لَهُنَّ رِقَابُ[2]

ومن الصفات السابقة الذكر تشكلت لنا صورة الفارس الأخلاقي، فقد أثبت أن جانب الحكم والسيادة لا ينفصل عن جانب الخلق والعبادة، بل هما جانبان مكملان لبعضهما، كل ذلك أثرى ذاته الشخصية الحربية بكثير من الصفات التي قلما نجدها اجتمعن في فارس.

ومن خلال دراستنا لديوان أبي فراس الحمداني حددت لنا بعض المعالم الواضحة لشخصيته الثقافية كما رسمها في شعره أو ذكرها المؤرخون وهي على قسمين:

- الثقافة
- الحرب

أولا: الثقافة اللغوية والتاريخية والدينية:

كان لنشأة أبي فراس في أسرة عريقة أكبر الأثر في تكوين شخصيته الثقافية، فقد كان بنو حمدان ملوكا وأمراء اشتهروا بالفصاحة والرجالة، وقد قال عنهم الثعالبي: "كان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة"[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص83.

(3) المصدر نفسه ، ص 116.

(3)أبي منصور الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط 1، تحقيق مفيد محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان، ج1 ، 1403هـ– 1973م، ج1 ، ص15.

فقد عاش في ظل سيف الدولة الذي استمد بلاطه بزخرفة العلماء والأدباء في جميع فروع المعرفة المختلفة.

تتلمذ أبو فراس على أيدي عديد من العلماء مما شكّل أكبر الأثر في تنوع ثقافته وعلومه وإثراء مصادر معارفه.

أ – الفصاحة والبلاغة والشعر:

تميز بلاط سيف الدولة بزخرفة شعرائه وتنوعهم "فكان في بلاطه (**المتنبي وأبو فراس والصنوبري وكشاجم والسري الرفاء، والوأواد الدمشقي والنامي والخالديان، وابن نباتة السعدي والسلامي** وغيرهم) ووفد عليه من أرض الكنانة أكثر من شاعر كالمغنم المصري ومحمد بن سلمى الشيباني" [1]

فأدت هذه الكثرة وهذا التنوع إلى حدوث منافسة شديدة على أبي فراس وزاد من شاعريته من خلال السّجلات الشعرية التي دارت خاصة مع المتنبي وكانت نتيجتها إثراء شعره بكثير من القصائد.

فكان المتنبي يحسب له حساب المواجهة ويتوخاها، وبذلك نرى أبا فراس قد شاعريته حتى أصبح يتغنى بذلك ويقول:

وهلْ للفَصاحَة والسَما حَة والعُلا عَنِي محيدُ[2]

ولكنه على الرغم من هذه البلاغة لم يتخذ الشعر وسيلة للكسب أو حرفة سخرها لظفر الهبات، فهي لا تناسب المثالية التي طالما ناشدها، فهو يمدح الرجل بما فيه لا طمعا ولا كسبا قال:

نَطقْتُ بفضْلي وامْتدَحتُ عشِيرتِي ومَا أنَا مَدَّاحُ ولا أنَا شاعِر[3]

(1) سعود محمود عبد الجابر ، الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ط1، جامعة قطر ، 1401هـ-1981م ، ص59.

(2) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 140.

(3) المصدر نفسه، ص 160.

فنجد أن أبا فراس يبتعد عن كلمة مداح وكلمة شاعر بل يذهب لتبيان فضائل عشيرته التي طالما تغنى بها. فلا ننسى أن أبا فراس الشاعر والفارس فهو أيضا أمير يعبر بواسطة شعره عن خلجات نفسه وخواطره، وما قاله في سيف الدولة إنما دفعه إليه صلة النسب والقرابة.

وها هو شاعرنا يسمو بشاعريته في ظل سيف الدولة الذي دعّمه وساعده في صقل تلك الملكة التي سما بها عن التكسب والهبات إلى سجل حافل بمآثره وشجاعته ومآثر قومه.

ب – الثقافة التاريخية:

لقد كان أبو فراس مطلعا بتاريخ العرب وأيامهم ووقائعهم، فنجد الكثير من الإرشادات إلى أحداث تاريخية عرف بها وقت أسره ومن الأبيات التي كتبها يخاطب فيها سيف الدولة ليجعله يتبرع في فدائه لإطلاق سراحه، ويحذره مما قد يترتب على عدم ذلك يقول:

فإنْ مِتُّ بعدَ اليوْم عابَك مَهْلكِي مَعاب النّزَارِيينَ مهلكَ مَعبَد
هُم عَضلُوا عنْه الفدَاء فَأَصْبحُوا يهُدُّون أطْرَاف القَريضِ المقصَّدِ
ولمْيكُ بدْعًا هلكُه غَير أنَّهُم يعَابُون إذْ سيمَ الفِدَاء ومَا فُدي[1]

وقد ذكر العديد من الوقائع والمعارك، التي مثلت الدفاع عن أرضها مثل معركة اليرموك الحاسمة. ليحثه قومه على الدفاع وتقوية عزم أمير الدولة وجنده.

يقول:

والمُسلمُونَ بِشاطئِ اليَرْموكِ مَا أُحرجُوا عَطفوا علَى هامَانِ
وُحمَاة هَاشِم حِين أُحرجَ صَدرهَا جَرُّوا البلاَء علَى بنِي مَروَانِ[2]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص184.
(2)المصدر نفسه، ص 305.

نلمح في هذه الأبيات مدى اتساع أفق الشاعر التاريخي، وحسن اطلاعه على وقائع وقصص الأمم السابقة، وحسن استدلاله واستشهاده من خلال توظيف الأمثال والقصص لأخذ العبرة وتسكين قلب والدته والتعجيل بالفداء.

ج – الثقافة المنسبية:

كان لأبي فراس نصيب وافر في علم الأنساب وتاريخها ودليل ذلك ما قاله حين افتخر بنسبه:

وفَرعِي فَرعكَ السَامِي المعَلَّى وأصْلِي أصْلُك الزَّاكِي وَحسْبُ

لإسمَاعيلَ بِي وبنِيه فَخرُ وفِي إسْحاقَ بي وبنِيه عُجَبُ

وأَعْمامِي ربيعَة وهيَ صيْدٌ وأخْوالِي بلْ صقْر وهِي غُلَبُ[1]

ونراه يفخر بخؤولته عندما جمع في نفسه العمومة الإسماعيليةنسبة إلى النبي إسماعيل – عليه السلام– والخؤولة الإسحاقيةنسبة إلى النبي إسحاق –عليه السلام–ودليل ذلك قوله:

لإسْماعيِل بي وبنِيه فَخْرُ وفِي إسْحَاق بِي وبنِيه عُجَبُ[2]

د – الثقافة الدينية:

كان أبو فراس حسن التدين قوي الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى، فنجد كثيرا من المفاهيم الإسلامية التي تمازجت في شعره لتكمل شخصيته الدينية، فكانت صيغة ثابتة في سلوكه وفي بناء مجتمعه كذلك.

وارتكزت شخصية أبي فراس على سبيل المثال لا الحصر: التسليم بالقدر فزاه شديد

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 31.

(2) المصدر نفسه، ص 106.

وهَلْ يدْفَعُ الإنسَان مَا هوَ واقِعُ وهلْ يعْلمُ الإنسَان ما هو كاسِبُ

وهلْ لِقضاءِ الله فِي الناسِ غَالبُ وهلْ منْ قضَاء الله فِي الناسِ هَارِبُ[1]

كذلك نجد أبا فراس على دراية ومعرفة بان ديننا الحنيف دين رحمة وتسامح، لذلك كان يقابل الإساءة بالإحسان. كما نجده رحب الصدر يتجاوز الهفوات، مما أعطاه القدرة على كبح النفس وعدم الوقوع في العثرات نتيجة غضبه، كما عرف بالصبر على الشدائد بقدر لا يعرفه غيره من الشعراء، فقد كانت سنوات الأسر شديدة الوطء عليه ولم يعرف سبيلا للخلاص إلا بالصبر، سواء أكان صبرا على آلامه وجراحه التي عاناها، أم صبره فراق الأحبة وشماتة الأعداء، فقد عرف أبو فراس الصبر بشتى أنواعه وألوانه، ويعبر ذلك في أحلى بيت شعري:

صَبورٌ ولمْ يبقَ منيٍ بقِيةٌ قَوُولٌ ولوْ أنَّ السُيوفَ جَوَابُ[2]

"ولا ننسى برّه بوالدته لأن أبا فراس نشأ يتيم الأب فكانت أمّه هي الراعية له بعد وفاة والده فلم تتزوج، فعكفت على تربيته تربية صالحة، فقام أبو فراس بإفراد الكثير من القصائد التي امتدح بها والدته والتي فضل في بعضها الذل في سبيل إسعادها وخدمتها"[3].

وخلاصة ما قدّم من تعداد لصفات الفارس الشاعر والأمير نجد أن شخصيته تدعو للاهتمام لعلاقتها الوطيدة بالدين ونزوعه الإنساني والروحي فينطلق الإسلام في تكوينه الشخصي الإسلامي باعتبار أن الدين منظم لحياته، فكل سلوك ودافع يصوغه في إطار الصلة الدينية بالخالق، فنجد الكثير من التوافق بين ذات أبي فراس الواقعية وشخصيته المثالية التي ناشدها.ولقد جسد أبو فراس الفروسية تجسيدا رائعا في شعره، ورسم صورا متعددة للفارس ولم يترك الملامح لا الخاصة ولا العامة، فهو فارس بطل، مقدام، قادر على خوض الحروب، عارف لها، كريم وعفيف.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 155.

(2) المصدر نفسه، ص 67.

(3) نوال الثمالي،الذات والآخر في روميات ابي فراس الحمداني،مذكرة ماجستير في قسم الادب، اشراف مصطفى

ومتى نلاحظ أن شعر أبي فراس يقل، خلال المعارك والحروب فذاك الوضع لا يسمح له بقول الشعر بكثرة، وقد غلبت الفروسية على شعره فصورة الفارس في شعره ما هي إلا صورته الحقيقية عكسها على ذلك الشعر بكل وضوح وقوة وصدق وعفوية.

2- صور الحرب وأدواتها:

البطولة مظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية التي تمتاز بالشجاعة والمثل العليا، وبما يقدمه هذا البطل للمجتمع وقد جسد الإنسان عبر تاريخه قيم البطولة، بما ينسجم مع مستوى الوعي الذي عاش فيه ويكمل هذا التجسيد الإشارة إلى البطولة في الملاحم والأساطير وفي المفهوم الديني لدى العرب.

ولقد أدرك العربي أن الحرب نتاج طبيعي لرد العدوان حينما تفشل سبل السلام، نتاج للصراع بين الحق وأعدائه وهو نتاج واع؟ لا يغفل التاريخ ولا يعقل المستقبل، وأنها أمر يسير كيفما اتفق، وقد أكد هذه الحقيقة الدين الإسلامي يوم نادى بالمسلمين في قوله تعالى: «وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِه فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ(41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِّينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)» سورةالشورى.

وشخصية الفارس البطولية لا تكتمل إلاّ بالعدة والاستعداد للعدو، وهذا الاستعداد لا يكون إلاّ بتوفر أدوات القتال التي تقود إلى النصر بإذن الله، قال تعالى: « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ(61)» سورة الأنفال.

فالفارس يحتاج هذه العدة التي تعينه في تحقيق نصره على أعدائه مع ما يملكه من أدوات معنوية بالذكاء والفطنة والحيلة والصبر.... .

فالفارس عليه الاهتمام بأدواته الحربية، و ما يتجهز به كالسيف والرمح، والخنجر والسهام وغيرها.

كما تحتاج الحرب إلى الاستعداد، احتاج البطل الفارس إليه أيضا ليبدأ بالخوض فيها كقول الخنساء:

فمِن للحَربِ إذْ صارَت كلُوحًا وشمّرَ مُشعلوهَا للنُهُوض[1]

فالحرب بحاجة إلى أخذ الاحتياطات اللازمة، فالفوارس يشمرون والتشمير كناية عن بدء العمل، فعندما تشتد وطيس الحرب يحتاج الفارس إلى أن يزيد من نشاطه، وقوته وعنفوانه للقاء خصومه.

ويقول الأعشى:

إنّي رأَيْتُ الحرْب إنْشمرْت دَارَت بكَ الحَربُ معَ الدَائرَ[2]

لقد صور كثير من الشعراء الحرب بصور ووصفوها بأوصاف عديدة، فقد صوروها امرأة، وناقة، وغولا ونارا..... وغيرها من الصور الملتقطة من البيئة الجاهلية وكثيرا من الأدباء كثبوا في الحرب وأيام العرب في العصر الجاهلي وفي غيرها من العصور.

وقد كان للحرب أسباب كثيرة منها ما هو اقتصادي كان أسبابه طبيعة البادية القاسية، فالصراع على أسباب الحياة كان ظاهرا عند العرب، كالصراع على الكلأ والماء، وهذا يبين لنا سبب تتبع البدوي مساقط الغيث، ورحيله وراء الماء، فالأرض الخصبة الموفرة بالماء والعشب كانت مطعما لكل قوي، وذلك بسبب غياب السلطة التي تحكم أهل البادية فقويي يأكل الضعيف، ويسلبه وينهب أملاكه.

وهناك الدافع الاجتماعي القائم على الأخذ بالثأر، هذه الظاهرة التي سيطرت على الإنسان منذ القديم، الذي لا يرتاح ولا يغمض له جفن قبل الأخذ بثأره.

---

(1) الخنساء ، الديوان، دار صادر، بيروت – لبنان، 2003م، ص 76.

(2) الأعشى ، الديوان، دار صادر، بيروت – لبنان،2003 م، ص 95.

فأصبحت سنّة من سنن الحياة خاصة في الجاهلية، وشريعة مقدسة، وفي هاته الحروب تكون من شروط الرجولة والبطولة: مقارعة الأبطال بعضهم بعضا، وتساور الأقران من حيث القوة والشجاعة والإقدام.

فالفارس لا يرضى أن يكون خصمه ضعيفا، بل قويا حتى يكون هناك احتمالان أحدهما: إما أن ينتصر عليه أو يهزم، فإذا انتصر هو عليه فيهمه أن يذكر أن هذا الخصم كان شجاعا، صلب العود يحسن مقارعة الأبطال، وأن القضاء عليه لم يكن سهلا وإذا ما هزم أمامه فيهمه أن يفهم الناس أنه لم يهزم أمام فارس عادي بل هزمه فارس قوي شجاع. فمن سمات البطولة الخارقة الغلبة على الأقران والتميز عليهم.

وقد جاء اهتمام الفارس بأدواته الحربية فـ "السلاح زاد المحارب يدافع به عن نفسه، ويرهب به عدوّه، ولذا كان الشعراء يفخرون بما يحملونه من سلاح، ويتجهزون به، ولكل زمان سلاحه، وكان سلاح هؤلاء الفرسان في عصرهم: السيف والرمح[1] ... إلخ".

فالسلاح في نظر الفارس أغلى ما يملك، وقد كان لا يختار أي سلاح، وإنما الأجود منها ليستطيع التغلب على خصمه وأعدائه في المعركة.

"فالبطل الخبير المحارب هو الذي يعتني بالسلاح وآلة الحرب ويختارها جيدا لأنها رفيقته في المعارك والجبان هو الذي لا يفكر فيها ولا يحاول اقتنائها"[3]،لأنها بجودتها تعينه في التغلب على خصومه، وحصوله على الفوز والانتصار.

وشاعت عند العرب أنواع كثيرة من الأسلحة منها ما يستخدم للهجوم ومنها ما يستخدم للدفاع والحماية، واصطبغت هذه الأسلحة بصفات ميزتها عن غيرها، فالسيف أبيض لامع، والرمح ثاقب، والدرع سابغة، واقترنت بعض صفات السلاح بالقوة والشجاعة، فإذا وصف الرمح بالطول فإنه يدل على قوته وقوة حامله، وعلى نفاذه إلى قلب الأعداء، والفتك بهم.

(2) علي أحمد علام، شعراء فرسان تحت راية الإسلام (تاريخ و ظواهر فنية)، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر 2001 م، ص 303.

(3) نايف حمدان أحمد عويضات، صورة البطل في شعر عنترة بن شداد العبسي، رسالة ماجستير، جامعة القدس–فلسطين 2000م، ص 65.

فالسلاح شيء ضروري لاكتمال صورة الفارس الحقيقية، فهو من أهم أدوات الحرب. ولكن هاته الأدوات التي ذكرناها سابقا لا تكتمل بدون **الفرس** التي تعتبر أصل الفروسية وقاعدتها والحاجة إليها من أول ما يخرج الفارس إلى القتال إلى أن يرجع، فهي تشارك الفارس في البطولة، وقد ذكرها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في مطلع سورة العاديات: «وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا(1) فَالمُورِيَاتِ قَدْحًا(2)فَالمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3)».

فللخيل أثر كبير في الحروب وفي استمرارها وتوسيعها، والفوز بها، فالحصان بطل الأيّام والمعارك، وله شأن كبير في كسب المعركة، ويعد صديقا وفيا للفرسان الأبطال.

يقول المتنبّي في الخيل يعدّها من أسرة البطل المقاتل:

وجُرداً مدَدْنا بيْنَ آذَانـهَا القَنَـا ... فَبتْنَ جِفافًا يتْبَعنَا لعوَاليَا

تَماشِي بِأيدٍ كُلمَّا وافَت الصفَا ... نقَشنَ بـهِ صدرِ البُزاةِ خوَافيَا

وتنظُرُ منْ سُود صوادِقَ في الدُّجَى ... يرينَا بعيدَات الشُّخصوصِ كمَا هيَا

وَتنصبُّ للجرَس الخَفيسَوامعَا ... يَخلْنَ مُناجَاةَالضَّميرِ تنَاديَا

تَجاذَب فُرسَانُ الصبَاح أعِنَّةَ ... كَأنَّ على الأَعنَاقِ منْها أفَاعيَا

بعَزْمٍ يسِيرُ الجِسمُ في السِّرجِراكِبًا ... به وَيسِيرُ القلْبُ في الجِسمِ ماشِيًا[1]

فالمتنبي يعتبر الخيل في مقدمة الأدوات الحربية لذلك خصص لها قسم بارز في شعره الحربي "وهو حين يتناولها لا يقف أمامها وقفة عابد الجمال للجمال، متأملا تناسق أعضائها وحس تكوينها وانسجام هيكلها، بل يقف منها وقفة المتأهب للسفر الطويل أو المعركة الحاسمة، ويهمّه منها أن تكون متلائمة مع ما يطلبه منها كالسرعة، وقوة الحواس وطاعة الفارس الجدير بامتطاء صهوتها"[2].

---

(1) هادي نهر ، مع المتنبي ،ص 333.

(2) المرجع نفسه، ص 111.

كما يعتبرها القزويني "أحسن الحيوانات شكلا.....، وأرشد الدواب عدوا وذكاء، ولها خصال حميدة، وأخلاق مرضية، ولها صفاء اللون وحسن الصورة، وتناسب الأعضاء، وحسن طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له"[1]

وفي العصر الجاهلي كانت القبيلة التي تملك عددا وافرا من الخيل إلى جانب الفرسان، هي القبيلة التي تخشاها القبائل الأخرى، فلا أحد يجرؤ على المساس بها، أو التفكير في مواجهتها، وهي التي تستطيع التغلب على أي خصم مهما كانت قوته وتلحق به الهزائم، ولهذا كله عد الباحثون دخول الخيل إلى الجزيرة العربية تطورا خطيرا في أسلوب القتال عند العرب، أحدث تغييرا حاسما في طرق القتال وصار عاملا مهما من العوامل التي أدت إلى انتشار القتال والغزو في بلاد العرب.

ويعود سبب اهتمام العرب بالخيل وقربها منهم هو أن العرب أرباب حروب وغارات، وهي التي يلجؤون إليها لأنها حصونهم الحصينة، ومعاقلهم التي يحتمون بها.

ولقد تغنى الشعراء بالفرس، فصوروا شجاعتها ورشاقتها فهذا عنترة يصف شجاعة فرسه بقوله:

مَازِلْتُ أَرْمِيهِم بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلُبانِـهِ حَتَّى تُسَرْبَلَ بالدَّم

وَأَزورَ مَن وَقَعِ القَنَا بِلبَانـهِ وَشكَا التِّي بعِيرةٍ وَتحمْحُمِ

لَو كَان يَدْرِي مَا المُحاورَة اشْتَكَى أو كَان لَوْ عَلِمَ الكَلاَم مُكَلِّمِي

وَالخَيْلُ تقتَحِم الجِبنَارَعَوايًا مَا بيْن شَيظَمَةٍ وَأَجْردَشيْظَمِ[2]

ويصف لنا المتنبي الفرس حين تخرج رفقة الفارس إلى الحرب "تكون من الغبار في سحائب، ومن العرق في مطر، تتحمل الجوع والظمأ، وتصبر على المشاق ومواصلة القتال، إنها خيول صلبة إن ضربها الفارس بالسوط وقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل، وهي

(1) زكريا القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط 4 ، تحقيق: فاروق سعد دار الآفاق الجديدة، بيروت– لبنان، 1401هـ – 1971 م، ص 400.

(2) عنترة ، الديوان، ط 1 ، دار صادر ، بيروت –لبنان ،1998 م ص ص 216 217.

حين تسوخ قوائمها في التراب إلى مرافقها فإن لها ثقة بأن الدم الذي سيسفكه فرسانها سيغسلها ويزيل عنها ذلك التراب"[1].

ونجد الفرس ذات حضور ملفت في شعر أبي فراس الذي كان يعتبرها رمزا للشباب والقوة والشجاعة والإقدام يقول:

وَتعَافُ بِي طَمعَ الحرِيص أُبُوَّتي وَمُرُوءتِي وفُتُوَّتِي وعَفَافِي

مَا كَثرةُ الخيْلِ الجِيادِ بِزائِدِي شَرَفًا ولا عَددُ السوَام الضَافِي

خَيْلي وَإنْ قُلتُ كَثيرٌ نَفعُها بيْن العَوارِم والقَنَا الرِّعافِ[2]

ويبين أبو فراس في هذه الأبيات أن ما يملكه من خيول رغم قلتها في العدد، فمنافعها كثيرة لاسيما في الحرب الشديدة الحامية الوطيس بقوله: (والقنا الرعاف)، فتلك الخيول لا تخشى الحرب ولا تنسحب من مواجهة الأعداء.

ومن كثرة تعلق أبو فراس بالخيل، فقد صارت تنال شفقته إلى أن جعل منها كأنها إنسانا يشكي تعبه وإرهاقه، فمن ذلك قوله:

قدْ ضَجَّ جَيْشُكَمنْ طُول القِتَال بهِ وقَدْ شَكتْك إلَيْنَا الخيْلُ والإبلُ[3]

ويقول واصفا فرس عدوه:

لَولاَ الجَوَادُ الأَدْهَمُ النَّاجِي بهِ أضْحَتْ قَوائِمَ رجْلِه فِي الأدْهمِ[4]

فهو يصف قوة فرسه التي أنجته من يدي أبي فراس، فالفارس الأدهم في بعض الأحيان يتحلى بشجاعة ليست متوفرة عند فارسها.

ثم نجد أبا فراس يفتخر بنفسه وشجاعته من خلال عرضه لبطولات خيله مثل قوله:

---

(1) هادي نهر، مع المتنبي، ص 112.

(2) ديوان أبي فراس الحمداني ، ص 256.

(3) المصدر نفسه، ص 297.

(4) المصدر نفسه، ص 261.

أَلَمْ تخبِرْكَ خيْلِي عَن مقَامِي بـ(بالسَ) يَومَ ضاقَ بهَا المَقامُ

وَوَلَّت تلْتَقِي بعضًا ببَعْضٍ لهُم وَالأَرْضُ واسِعَة زِحَامُ

تَنَادوا فانبَرتُ مِنْ كُلِّ فَجٍ سَوابِق يُنْتَجِبْنَ لنـاَانتِجَابَا[1]

ويقول أيضا:

كَفَانِي سَطوة الدَّهْرِ جوادٌ نَسلُ أَجوَادِ

نمَاهُ خيـر ُآبـاءِ نَمَتهُم خيرُ أَجدَادِ

فمَا يَصبُو إلَـى أَرْضٍ سِوَى أَرْضِي ورَوَّادِي[2]

فهو يعترف بفضل الخيل وحاجته لها، وهاهو في بيت آخر يبين لنا أن مكانة الفرس من مكانة فارسها:

وَمُهْرِي لاَ يَمَسُّ الأَرْضَ زَهوًاكَأَنَّ تُرابُـهَا قُطبُ النبَال

كَأَنَّ الخَيلَ تَعرفُ مَن ْعَلَيهَا ففِي بعْضٍ علَى بعْضٍ تُعالِي[3]

فقد رسم لها صورة المتعالي، فعلوها من علو راكبها، ومن سرعتها لا تمس الأرض تكبرا وزهوا. فهي مهر **أبي فراس** ،ولأبي فراس أبيات رائعة يصور فيها فرسه يقول:

ضَرَبْنَا بهَا عَرضَ(الفُرَاتِ) كَأَنَّمَا تسِيرُ بنَا تحْتَ السّرُوجِ جَزَائِرُ

إلَى أنْ وَردْنَا (أَرْقَنِينَ) نَسُوقهَا وقَد نكِلَت أعْقَابُها وَالمَخَاصِرُ[4]

فما أجمل تصوير أبي فراس للخيل وهي تعبر الفرات وعلى ظهورها الفرسان بالجزائر تحت السروج.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني ، ص 277.

(2) المصدر نفسه، ص 76.

(3) المصدر نفسه: ص 210.

(4) المصدر نفسه: ص 115.

ويقول أيضا:

فَطَارَدْتُ حتَّى أبْهَرَ الجَرْيُ أَشْقَرِي وَضَارَبْتُ حتَّى أوْهَنَ الضَّرْبُ سَاعِدِي[1]

فهو يصف لنا فرسه الشقراء عندما نال منها التعب من كثرة مطاردة فارسها للأعداء وهو ممتطيها.

وإلى جانب الفرس هناك **السّيف** الذي يدل على الشجاعة والتلاحم بين الفرسان، فهو المصاحب لهم في الحروب والنزالات، وله هو أيضا أسماء عديدة: الصمصامة، المشرفي، الغصب، الحسام، الصارم، المنصل[2].

ورغم أن الفرسان يتفاوتون في مقدار عشقهم لأدوات الحرب فهناك أوقات تفضل فيها على بعضها بعض غيرأن السيف تظل له المكانة الخاصة، فهو السلاح المستخدم عند المواجهة مع الفرسان.

يقول أبو فراس:

سلِي عنَّا سُرَاةَ (بنِي كَلاَب) بِبَالِسَ عنْدَ مُشْتَجَرِ العَوالِي

لَقينَاهُم بأَسْيافٍ قصَارٍ كفَينَ مَؤُونةَ الأَسلِ الطّوالِ[3]

والسيف مقدم على الرمح عند الفارس الشجاع، فالرمح يستخدم للطعن من بعد، أما السيف فيضرب به من قرب، لذلك فهو المقرب إلى الفارس ويقول:

وَحُمْرِ سُيوفٍ لاَ تجِفُّ لهَا ظُبَى بِأيْدِي رِجالٍ لا يَحُطُّ لهَا لَبدُ[4]

وهو يصور لنا سيوفهم في أرض المعركة وقد تحول لونها إلى لون الدم وبراعتها هذه من براعة حامليها الفرسان.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني ، ص 277.

(2) أبي الحسين على إسماعيل، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت د. ط. د. ت، ص 16.

(3) ديوان أبي فراس، ص 227.

(4) المصدر نفسه، ص 92.

وقد تكررت لفظة السيف في شعر أبي فراس، وهذا دليل على المكانة العالية للسيف عند الفارس ،يقول:

وَويْلَك مَن أَردَى أخَاكبمَرْعَشٍ وَجَلَّلَ ضَربًا وَجْـهَ وَالِدكَالعَصْبَا

وَسَلْ صيْدَكُم آلَ المَلاينَ إنَنَّـا ذَهبْنَا ببيضِ الهِنْدِ عِزَّهُم نَهْبَا

أَلَمْتَفنِهِم قَتلاً وأسْرًا لِسُيوفِنَـا؟ وَأُسْدَ الشَّرَى المَلأَى وَإنْ جَمدَت رُعْبَا؟

بِأقْلامِنَا أَحجرَتْ أَمْ بِسِيُوفِنَـا وَأُسدَ الشَّرَى قُدنَا إليكَ أمْالكُتُبَا[1]

ويقول المتنبي في السيوف ومدى قربها من الفارس: « ثم يأخذك الشاعر إلى ساحة القتال حين يلتحم الكمأة، فتسمع خلال ذلك أصواب السيوف والرماح مختلطة بصيحات الرجال ووقع سنابك الجياد، وحينما يحتدم القتال، ويصطدم المقاتلون تهتز ساحة الحرب على إيقاع الضربات فسيوف هاويات ورؤوس طائرات، وخير القتال ما كان عن قرب حتى يترك المحاربون رماحهم ويعمدون إلى سيوفهم، هناك يعرف الأصلح للبقاء من الرجال والخيول والأسلحة، وهناك يبرز البطل الذي يستمد منه المقاتلون الهدوء والثقة بالنصر مع الإقدام وعدم المبالاة بالمخاطر»[2].

فالسيف هو مصدر العز الوحيد للفارس، وهو رمز القوة التي يحتاجها،فيقول أبوفراس:

ظَفَرُوا بهَا بِالسَّيفِ أوَّل مَرَّة وبَقَاؤُها بِالسَّيفِ أَصْبحَ فِيهِم[3]

ويقول أيضا:

كَمْ ذاتَ حجلٍ مَا رَآهَا النَّاسُ قدْ بَرزتْ لأَعيُنِهِم بِأَنفٍ مُرْغَمٍ

خُطبَتْ بَحدِّ السَّيفِ حتَّى زُوِّجَتْ كُرْهًا وكَان صَدَاقُهَا فِي المَقْسِمِ

بَانَتْ وصَاحِبُهَا بِعُرسٍ حَاضرٌ يُرضِي الإلَـه وأَهْلهَا فِي مَأتمٍ[4]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني ، ص 36.

(2) هادي نهر ، مع المتنبي، ص 105.

(3) المصدر السابق، ص 84.

(4) ، المصدر السابق ، ص 92.

فهو يعرض مهام السيف واستخدامه عند العرب مكانة مهمة منذ أقدم العصور، فكان السيف أشرف الأسلحة عندهم من بين أنواع الأسلحة الأخرى التي استخدموها، ويعد أكثر فاعلية في القتال، يحافظ كل عليه ولا يكاد يفارقه، وقد حفلت أشعرهم بتمجيده، وجاوزت أسماؤهم المائة عند العرب كما ذكرنا سابقا.

والسيف آخر الأسلحة استعمالا في المعركة، يعمد إليه بعد القوس والرمح، فهو الذي يحسم المعارك وعلى حسن بلائه تتوقف نهايتها.

فعندما يختلط الجيشان ويحتدم الصراع فلا سلاح يغني عن السيف، لذلك عبر أبو فراس عن ذلك بقولـه:

تَخالطَ فيهَا الجَحْفَلانِ كِلاَهُمَا فَغِبْنَ القَنَا عنْهَا ويَبنَ البَوابُرَ[1]

فعندما تشتدّ الحرب يتخلى الفرسان عن الرماح وغيرها ولا يبقى إلا السيف المعين على القتال.

ويقول كذلك واصفا السيف:

بِكُلِّ حُسَامٍ بينَ حَدَّيْهِ شُعلَـةٌ بِكفِّ غُلامٍ حشوُ دِرعَيـهِ خادِرُ

علَى كُلِّ طيَّار الضُلُوع كَأَنَّهُ إذا انقَضَّ مِن عَلياَء فتخاءَ كَاسرُ[2]

ومن الأسلحة المهمة في الحروب إضافة إلى السيف لدينا الرمح الذي توجّه به الطعنات إلى الأعداء، وقد أطلق عليه العرب العديد من الأسماء "فأسموه الخطي والسّمهري، والقنا والرديني وغيرها من الأسماء"[3] ويقول أبو فراس في شدة اتصاله بالرمح:

رُمْحِي أخِي وَمُعَاوِنِي في شِدَّتِي نِعْمَ المُعاونُ للشُجاعِ المُحسنِ!

وَحملْتُهُ للطَّعْنِ في يَومِ الوَغَى وعَلاَمَ أحْملُهُ إذَا لَـمْ أَطْعَنِ![4]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 115.

(2) المصدر نفسه، ص 117.

(3) أبي الحسين علي إسماعيل، المخصص، ص 38.

(2) المصدر السابق ، ص 117.

فالفارس شديد الارتباط برمحه، فهو يؤكد على أهميته له وانه أداة للطعن في الحرب، فهو الأخ المعاون للفارس في الشدة، ومن الملاحظ على أبي فراس أن رمحه قريب منه، لذلك أكثر من ذكره وقدّمه في شعره على أدوات الحرب الأخرى أكثر من مرة، وذلك راجع إلى أن أكثر معاركه استخدم فيها الرمح ولم يواجه الأعداء لأنهم أجبن من أن يواجهوا فارسا مثله:

إبَاءٌإباءُ البكرِ غيرِ مُذَلّلِ وَعزمٌ كَحدِّ السَّيفِغيْر مُقَلّلِ

أأُغْضِي علىَ الأَمر ِالذّي لا أُرِيدُهُ ولمَّا يَقُم بِالعُذر رُمحِي وَمِنْصَلِي

أبَى اللهُ والمَهر ُالمَنيعِيُّ والقَنَا وأَبيَضُ وقَّاعٌ علَى كلِّ مَفْصلِ[1]

ويقول:

وَعَطّاف علَى الغَمراتِ نَحْوِي تَحُفُّ بـِه المُثَقَّفَةُ الطّوالُ

تَرَكْتُ الرُّمحَ يَخطُرُ فِي حَشَاهُ لـهُ مَا بَيـنَ أَضْلُعِه مَجَالُ[2]

فقد افتخر أبو فراس باستخدامه للمرح، على الرغم من أنه يستخدم عن بعد، وذلك يثبت سرعته ودقّته في الطعن ولقد أكد لنا أبو فراس أن الرماح كان لها الفضل في سيادة قومه إذ يقول:

بِأَطرَاف المُثَقَّفةُ الطّوالُ تَفَرَّدنـا بِأَوْسَاطِ المَعَالِـي

ومَا تَحلُو مَجَانِي العِزُّ يَوْمًا إذَا لمْ تَجْنِهَا سُمْرُ العَوالِي[3]

فقد كانت هاته الرماح الطويلة، التي تملك مميزات دون غيرها من الأسلحة -فمن مميزات الرمح الطويل أنه أقوى فتكا وانه يطعن به يعد- سببا في السيادة لقومه.

الفصل الأول ـــصورة الفارس في شعر الفروسية

(1) ديوان ابي فراس الحمداني، ص212 .

(2) المصدر نفسه، ص 222.

(3) المصدر نفسه، ص 222.

وأَهنْتُ نَفسِي للرِّماحِ وإنَّهُ مَن لمْ يَهِنْ بينَ القَنَا لمْ يُكْرَم[1]

ويقـول:

سَقَينَا بِالرِّماحِ بنِي قُشَيْرٍ ببَطْنِ (الغُنْثرِ) العُمَّالمُذابَا

وَأمْطَرنَ (الجُبَاةَ) يُمَرَجِـحْنَ وَلكِن بِالطَّعانِ المرِّ صَابَا[2]

فهو يبين أن الرماح أقوى الأدوات الحربية وهي الوسيلة السرعة في التغلب على الأعداء.

ويقول:

ويَوْمَ تخَالُ الرَّعْدُ في جَنبَاتِه لِشِدَّةِ أصْوَاتِ القَنَا وَالـهَماهِمُ

شُفيتُ بعَزمٍصَادقٍ غيْرَ كاذِبٍ وَرُمحٍ رَدينِي وأَبْيضَ صَارمُ[3]

ويقول أيضـا:

إذَا مَا عنَّ لِي أَربٌ بِأرْضٍ رَكبَتْ لـهُضَمينَاتُ النَّجاحُ

ولِي عنْدَ العُداةِ بِكلِّ أرْضٍ دُيونٌ فِي كَفالاَتِ الرِّماحِ[4]

وفي هذين البيتين يبين أن الرماح قد تكفلت بسداد الديون التي عند أعدائه.

ويقول أبو فراس واصفا فعل الرماح في الأعداء:

وَأرمَاحُنَا في كُلِّ لُبَّةِ فَارسٍ تُثْقَبُ تَثْقِيبَ الحِمانِ وَتنظمُ[5]

(2) المصدر نفسه، ص 96.

(3) المصدر نفسه، ص 53.

(4) المصدر نفسه، ص 108.

(5) المصدر نفسه، ص 66.

لا وهي

الجياد،

وقد صنعت السهام أولا من خشب خفيف، والقوس من خشب مرن أو نحاس، أما الوتر فقد كان يصنع من شعر الخيل أو الجلد، وكانت القوس تخطئ أحيانا إذ تنثني إلى الوراء فتجرح صاحبها.

وكانت السهم أحيانا مسمومة، كما كان بعض المقاتلين يضعون جمرا في طرف السهم ليشعل النار في العدو.

وإذا تأملنا شعر أبو فراس لا نجد للسهام حضور بارز كسابق الأدوات ويمكن أن يرجع سبب ذلك إلى أن السهام تستعمل عن بعد.

قال أبو فراس:

وَكُنَّا كَالسِّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرامِيهَا فَرامِيهَا أصَابَا(1)

فهو يشبه نفسه وجيشه بالسهام التي تصيب أهدافها.ولقد كانت الأسلحة الحربية نوعين: نوع للهجوم كالرمح والسهم وغيرها وأسلحة للدفاع كالسيف والترس والخوذة وغيرها، وقد كانت لهاته الأسلحة وافر من شعر أبي فراس فهي وسيلته لتحقيق غايته المنشودة، وها قد استطاع توظيف أدوات الحرب خير توظيف لأن اهتمامه بالسلاح من اهتمامه بإبراز بطولته الحربية وإثبات نفسه.

ارتباط الفروسية بالشعر:

يحتل الشعر مكانة عالية عند العرب فقد كان ملازما للإنسان يتوج بطولاته، "فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون،

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 101.

(2) الجاحظ ، الحيوان، ط1، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر ، 1937م–1356 هـ، ص81.

نريد أن

ـعر الذي

قاله الشعراء الفرسان، ونرى ذلك منطقي، لأن الفارس الشاعر الذي خاض الحروب، وكان جزءا من مهما فيها، هو الأبرع في تصوير تلك الأحداث، على عكس الشاعر غير الفارس الذي يعبر لنا أو يصف حدثا عايشه دون خوضه، وليس معنى هذا أن ننقص من قدر هؤلاء الشعراء الذين أبدعوا في شعر الفروسية وتغنوا بوصفه، وخير مثال على ذلك الشاعر حسان بن ثابت فهو على الرغم من أنه ليس فارس ولكن له شعرا صادقا من يسمعه ألا ويعجب به وقد قيل عنه بعض الكتّاب أنه جبان ويخاف المعارك، إلا أنه حتى ولو لم يخض المعارك بالسيف، فقد خاضها باللسان.

ويعد الشاعر الفارس أكثر حظا من الفارس في درجة تأثير شعره في نفوس السامعين، وكذا شهرته وصيته وسط قومه، فكثير من الفرسان لم يشتهروا وذلك لأنهم فرسان فقط.

وتعتبر الفروسية غرضا رئيسيا في الشعر منذ نشأته إلى يومنا هذا، ففي الجاهلية كثر الشعراء الفرسان، وهذا راجع إلى طبيعة الحياة المليئة بالحروب، ولقد أكد ذلك قول ابن سلام الجمحي: «وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلّل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائر، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلّل شعر عمان وأهل الطائف»[2].

أما في العصر الإسلامي فقد كان الخلفاء يقربون البارزين من فرسانهم الشعراء، ويبالغون في إكرامهم.

وهكذا ظلت الفروسية مصدرا لإلهام الشعراء فتعلقوا بها أيّما تعلق.

(2) القاهرة_مصر ،1952م، ص259.

أولها: الغلام: وهو الذي تستبشر القبيلة بقدومه لكي يكون أحد فرسانها المدافعين عنها، فهو الفارس المرتقب.

ثانيها: الشاعر: المتحدث، والناطق باسم القبيلة، الممجد لها والمدافع عنها، ففي نبوغه نبوغ لهم على أعدائهم.

آخرها: الفرس: التي هي خير معين للفارس فر حروبه، وهي من أهم أسلحة النصر عندهم. فلقد كان العرب يهنئون بعضهم في ثلاثة أحوال، فأما الأول فهو لنبوغ أبنائهم في الشعر أو ولادة غلام أو فرس.

ونحن نلاحظ أن الفروسية بانت وظهرت معالمها من خلال الحروب فهي التي يبرز فيها الفارس ما يملكه من مهارات القتال، ويكون النصر حليف الفارس المقدام البارع في فنون القتال. ومن ثمة تكثر الحروب بين القبائل من أجل الدفاع عن أنفسهم وشرفهم، فالدفاع عن النفس حق مشروع أقرّته الشرائع جميعها، وصراع البقاء دائم مادمت هناك حياة، فطبيعة النفس البشرية تميل إلى البقاء من خلال القضاء على كل ما من شأنه أن يعترض سبيلها، ويقف في طريقها، وهذا ما يجعل الإنسان يسعى دائما إلى البحث عن حياة أفضل ولو كانت على حساب غيره.

كل موت يقابله حياة، ومنذ بدء الخليقة والإنسان في صراع مع نفسه وغيره، وذلك لتحقي أهدافه ورغباته، ونزعاته الإنسانية،والرغبة في السيطرة على غيره والوصول إلى أعلى الركب والدرجات، وهذا لا يتحقق للإنسان دون أن يدخل في صراع مع الآخرين"فجنوح الإنسان إلى الحرب منذ بداية تشكيل المجموعات البشرية إلى يومنا هذا أوضح تجليات النزعة التدميرية الذاتية، فبصرف النظر عن كل التبريرات العقلانية، وبواقع البطولة الرومانسية، فليست الحرب إلا اندفاعا لاشعوريا نحو الموت، وتلبية لنداء داخلي بإيقاف الحياة، ونداء يصدر

...صر أو

...ول آدم

(1) فراس السواح، لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط6، دار علاء الدين، دمشق 1969م، ص ص234 235.

وحواء على هذه الأرض، حيث رزقا طفلين فكان الابن الأول قابيل الذي اشتغل بالتجارة،والثاني هابيل الذي اشتغل بالرعي، وحدث بعد مدة من اشتغال كل منهما بما يسر له أن قدّم كل منها قربانا للرب، حيث قدّم قابيل من ثمار الأرض، وقدّم هابيل ذبائح من قطعانه، فتقبل الرب قربان هابيل الذي اشتغل بالرعي، ولم يتقبل قربان المزارع، فدفعت قابيل الغيرة لقتل هابيل ودفن جثته بالصحراء"[(1)].

وقد ذكرت هذه الحاثة في القرآن الكريم، وبينت لنا مدى وحشية الإنسان، حين قتل أخاه وأبقاه في العراء، لولا الإلهام الرباني الذي أرشده إلى دفنه، وفي ذلك يقول الله تعالى: «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ(32) فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَادِمِينَ(33)» سورة المائدة، وهكذا بدأت الحياة على الأرض بالقتل، واستقبل التاريخ البشري بهذه الجريمة.

ولقد أخذت العرب جانب كبيرا من حياة الأمم قديما وحديثا، وما وصل إلينا من تراث عن الشعوب القديمة يشير إلى حضور هذه الظاهرة عندهم.

فنرى أن معظم الشعوب القديمة اهتمت بالحروب من أجل السيطرة والبقاء، ولم تكن تكترث لأي قانون في المعارك حيث القتل والتشويه والأسر والتعذيب، فهذه الصراعات جميعها التي تؤدي إلى الموت ما هي إلا حياة، فموت شعب يعني حياة لشعب آخر، فمن القتل تأتي الحياة.

ونخلص إلى أن الحروب كانت سببا في ازدهار الشعر وانتشاره، وهيأت للشعراء المجالات الواسعة، لابراز مواهبهم الشعرية، فقد كانت مصدر الأرض خصبة التي يستمد منها الشعراء

(1) فراس السواح، مغامرات العقل الأولى (دراسة في الأسطورة–سوريا وبلاد الرافدين)، ط11، دار علاء الدين، دمشق ، 1996م، ص269.

تشهد

تغلب

التي كان سببها مقتل **كليب بن ربيعة الثعلبي** على يد إبن عمه **جساس**، فجدّ أخوه **المهلهل** في طلب الثأر.

فالثأر هو أحد أوجه التشريع الجاهلي، وهو الوجه المتمم لمبدأ التكافل، "فإذا ما تعرض هذا العربي لاعتداء ما أو لقتل فإن قبيلته تهب لأخذ الثأر، أي لمعاقبة القاتل أو أحد أفراد قبيلته، أو لإنصاف أهل القتيل، وهو وصم من أفرادها وثانيها لإفهام الآخرين أن قتل أحد من أفرادها ليس بالأمر الهين وأن المعتدي سيعاقب"[1].

فالثأر ليس عادة خاوية أو تعطش للدماء بل هو قانون يحفظ حياة الإنسان في تلك المعمعة الكبيرة من الصراعات، وكلما ألحّت القبيلة في طلب الثأر ونجحت فيه برهنت على قوتها وهابتها القبائل الأخرى وكفت عن أذيتها، وحسبت الحسابات قبل التعرض لأحد أفرادها، لذلك رفض الدية الأقوياء وأنفوا من أخذها.

فإذا كانت القبيلة كلما قتل أحد من أفرادها تقبل الدية المقدمة هان أمرها واستصغرتها القبائل، وقتلت أفرادها وأخذت الإبل عوضا عنها. وبهذا يكون قبول الدية استسلاما للأعداء، وتعبيرا عن ضعف القبيلة وعدم قدرتها على أخذ الثأر، وبالتالي يهون أمرها أمام باقي القبائل.

وقد أتينا ببعض من أبيات "المهلهل" حين دفن أخاه "كليبا" وقام على قبره يعده بأخذ ثأره من أعدائه:

خُذِ العَهْدَ الأَكيدَ عليَّ عُمْرِي بِتَرْكِي مَا حوَتِ الدِّيارُ

وَهَجْرِي الغَانيَاتِ وَشُربَ كَأسٍ وَلَبْسِي جُبَّةً لا تُستَعَارُ

وَلَسْتُ بخَالع درعِى وَسَيْفِى إلَى أَن يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ

ولعل للأخذ بالثأر تأثير كبير على تغيير مجرى حياة بعض الفرسان كـ"امرؤ القيس" الذي كر لهن،

(1) ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، ص15.

(2) المصدر نفسه ، ص12.

كان يسير في العرب يطلب الصيد والغزل حتّى قتل أبوه فأصبح فارسا بعد أن كان غارقا في لذته ولهوه يقول:

الخَمْرُ وَالنِّسَاءُ علَيَّ حَرَامٌ حتَّى أَقتُلَمِنْ بَنِي أُسْدِ مَائَةُ وأَجُزَّ نَواصِي مَائَةٌ(1)

فإذا اطّلعنا على ديوانه نجد تفاوت كبير بين قصائده في مرحلة اللهو، وقصائده البطولية التي تدعو إلى طلب الثأر، فجعلت منه الحروب فارسا مقداما بعد أن كان ماجنا.

ومن أسباب الحروب أيضا: العصبية القبلية، فقد كانت القبائل العربية أشد تعصبا لبعضها بعضا.

كما تقام الحروب أيضا للأنفة والحميّة، فالعربي لا يرضى بالذل والهوان، ولا يداس على طرفه ،فنجد أن الفرسان كانوا يعبرون عن كل أخبارهم وبطولاتهم عن طريق الشعر.ولابد أن نلفت الانتباه إلى أن الفروسية والشعر لم تقتصر على أبناء القبائل الأحرار، بل شملت كل الطبقات الاجتماعية ونعني بذلك الصعاليك، فقد كانوا على قدر كبير من الشجاعة والإقدام والتي عبّروا عنها بواسطة الشعر، ومن أبرزهم "تأبّط شرًّا" الذي يضمر لنا الصورة المثالية للصعلوك الفارس الذي يملك من الصفات ما يجعل غيره يبدي له الاحترام فهو سبّاق إلى المحامد في عشيرته، له صوت جوهرّي شجاع لا يخشى الأهوال، ليس من الطامعين لا في الأكل ولا المال وعند اندلاع الحرب نجده في المقدمة يحمل لواءها، كما يتميز برجاحة العقل وسداد الرأي ويقول في ذلك:

لَكِنَّمَا عوَلِي إِنْ كُنْتُ ذَا عِولَ عَلَى بَصِيرٍ بِكَسْبِ الحَمْدِ سَبَّاقِ

سَبَّاقِ غَايَاتِ مَجْدٍ فِي عَشِيرَتِه مُرْجِعِ الصَّوْتِهَدًّا بَيْنَ أَرْفَاقِ

عَارِي الفَنَابِيبَ مُمْتَدُ نَوَاشِرَهُ مِدْلاَجِ أَدْهَمَ وَاهِي المَاءِ غَسَّاقِ

حَمَّال ◌أَلْوَتَة شهَّاد أَنْدِيَة قَوَّال مُحْكَمه جَوَابُ أَفَاقَاه

عها

(1) أحمد الأمين الشنقيطي: المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، ص8.

(2) علي ذي الفقار شاكر: ديوان تأبط شرا وأخباره، ط1، دار الغرب الإسلامي ، 1404هـ–1974م، ص135.

ولكن بمجيء الإسلام تغيرت المفاهيم واختلفت غاية الشعراء الفرسان، فأصبحوا يبتغون الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتَا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَبِمَآءَاتَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَبِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْوَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ(170)»سورة آل عمران.

فبقيت الفروسيّة محافظة على المكانة العالية لدى الفرسان الشعراء حتى وإن اختلف الدافع لذلك، فالفارس المسلم يقبل على الحرب دون خوف أو جبن، بل يحارب ويدافع عن دينه بكل ما أوتي من قوة، فكثر الشعراء الفرسان في العصر الإسلامي مثله مثل العصر الجاهلي ونذكر من بينهم: **عبد الله بن رواحة، كعب بن مالك، عروة بن زيد الخير، حسان بن ثابت** ... وغيرهم من الشعراء الذين انضووا تحت راية الإسلام يدافعون عنها وينادون بها،فكثرت أشعارهم خاصة عند مجيء الفتوحات الإسلامية.

"وإذا كانت الحرب منيعا خصبا فاض منه الشعر الجاهلي، وكاد يتحول هذا الشعر في بعض مراحله إلى شعر معارك وحروب، فقد ظل هذا النبع يمد الشعراء على مدى العصور الآتية.

ويملك ديوان الشعر العربي قصائد غزيرة تروي في صدق بطولات الإنسان العربي في ساحات القتال ففي الفتوح الإسلامية وجد الشعر مجالا رحبا أمدّه بفيض وفير، حيث كانت موضوعات المعارك والوقائع هي الموضوعات المركزية والسائدة في القصيدة آنذاك، إذ شغلت الفتوح الإسلامية المسلمين عن كل شيء في حياتهم، إلا الفروسية والشعر، ولا نكون مغالين إذ قلنا: إن الفتوح لم تقم إلا بهذين المظهرين من مظاهر الحياة العربية، فكانت الفروسية سببا في نجاح الفتوحات، وكان الشعر نتيجة لذلك"[1].

(1) نعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، مصر، 1965م، ص173.

ففي صدر الإسلام كثر الشعراء، وكثر نتاجهم الشعري بعد أن كثر الإسلام وتوقفت الحروب واطمأنت العرب، وكان في أشعار الفرسان ما يثبت حقا كثرته في ذلك الوقت، فالشعر واكب الأحداث التاريخية لاسيما معارك الرسول –صلى الله عليه وسلم– ضد المشركين، فقد أظهر "الشعر سيطرته على مجرى التاريخ إبّان اشتداد الأزمات وتفاقم الحوادث، وقيام الحروب، ولذلك يعد مصدرا من مصادر التاريخ المهمة، لا يستغني عنه المؤرخ الذي ينشد الدقة والموضوعية في تاريخه"[1].

ولكن بمجيء العصر الأموي والعباسي نلاحظ أن عدد الشعراء الفرسان بدأ يقل تدريجيا مع مرور الزمن، بل أصبحت قلتهم ظاهرة وواضحة ولعل أهم أسباب ذلك مايلي:

- اطلاع العرب على غيرهم من الأمم، الأمر الذي أدى إلى طمس بعض القيم، فقد أدهشهم كل جديد لم يدروه من قبل، فاتبعوه وأظهروا له الولاء. فتحولوا بذلك من سادة وقواد إلى أتباع لا حكم لهم بل حكمهم بيد غيرهم.

ويقول المتنبي في ذلك:

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالمُلُوكِ وَمَا ... تُفْلِحُ عَرَبٌ مُلُوكُهُمْ عَجَمُ
لاَ أَدَبَ عِنْدَهُمْ وَلاَ حَسَبْ ... وَلاَ عُهودَ لَهُمْ وَلاَ ذِمَمُ[2]

فلم يعد للفروسيّة تلك المكانة وذاك البريق الذي كان يلمع، فبدخول أجناس أخرى إلى الدولة العباسية كالفرس والديلم والترك، والأكراد، والشراكسة ابتعد بعض النقاد عن شعر الحماسة، ولم يعودوا يخوضون غمرات القتال لوصف إحساساتهم في ميادين الحروب.

---

(1) حمد بن ناصر الدخيل ، دراسات و مقالات في الأدب العربي ، ط1،1420هـ – 1999 م،ص30.

(2) أبي البقاء العكبري: ديوان أبي الطيب المتنبي، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر–القاهرة، 1393هـ–1973م، ص59.

كما أن الوضع تغير وتحول احتياج العرب من الفرسان إلى الأعمال الحرفية والصناعية حتى يضمنوا الاستقرار والابتعاد عن أهوال الحروب، وبالتالي تفقد الفروسيّة مكانها المعمود، فهم في هذه الحالة ليسوا بحاجة إلى فرسان لأن لا ضرورة لهم.

-انتقالهم من البدو إلى المدينة، ولعلنا على دراية بأن من أهم مقومات الفروسية هو النشأة البدوية، فانشغلوا بالحياة وملذاتها فإن "طبيعة البيئة وطبيعة الحياة الاجتماعية جعلت العربي فارسيا بالضرورة، لأن الفروسية .....عنصر مهم من عناصر حياة العربي، بل تمثل العنصر الحيوي، فتكون بذلك الفروسية ظاهرة طبيعية في حياة العربي ينشأ عليها ويعايشها طيلة حياته[1].

ولكن على الرغم من ذلك، فستظل الفروسية دائمة ومتجددة في الأذهان، لأن العرب قد شغفوا بها منذ القديم، وترجموا ذلك الشغف في أشعارهم التي مازالت ترددها الألسن فحتى لو ذهبت الفروسية الحقيقية، فقد ظلت الفروسية المعنوية والمتمثلة في أشعارهم، الأمر الذي جعلهم يخلدون أسماؤهم، وهذا ما يميزهم عن غيرهم من الفرسان الذين لم يدم لهم ذكر، ولم يخلد لهم عمل، ليس لعدم القدرة القتالية بل لأنه لن تكن مقدرة قولية لضمن حضورهم المعنوي في كل محفل بطولي على مر التاريخ.

وبذلك تعتبر الفروسية والشعر شيء واحدا لا يمكن الفصل بينهما فمتى وجدنا الشعر نجد للفروسية ذكرا فيه، ولو كان عارضا لأن الفروسية مغروسة في نفوسهم وهي جزء من حياتهم.

وقد اتخذت من الشعر جذورا لها، فقد شملت معظم الفنون الشعرية، وكان لها ارتباط بالأغراض الشعرية خاصة المدح والفخر، والغزل، وهذا دليل على الالتحام الشديد بين الفروسية والشعر.

(1) فوزية بومزار: مفهوم الفروسية في التراث العربي وأثره في فروسية القرون الوسطى في أوروبا، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986م، ص30.

فلم يقتصر ذكر الحرب على مواضعها الخاصة بها وبمناسباتها بين الحين والحين، بل كان أمرها من الشمول والاتصال والحضور في أذهان الناس، بحيث تسرب ذكرها في شتى أبواب الأدب واستعيرت صفاتها وأحوالها لمختلف الأغراض.

ومن هنا نلحظ ملازمة الفروسية للشعر، لأنها مهمة في حياة العربي، وكان لابد من الشعر حتى تظهر إلى العيان.

وبذلك فقد تغلغلت الفروسيّة في أعماق الشعر، فهي المحور الأساس الذي يتمحور حوله شعر الفرسان.

الفصل الثاني

الخصائص الفنية لشعر الفروسيّة

1- التجربة الشعرية

2- العاطفة

3- اللغة

4- الأسلوب

5- الصورة الشعرية

6- الموسيقى

1- التجربة الشعرية :

التجربة الشعرية من الأعمال المعقدة التي تجانب البساطة و السهولة التلقائية، إذ أنها تصدر عن النفس الإنسانية التي يصعب الحديث عن مكنوناتها، لأنها تصدر عن عواطف الشاعر و أحاسيسه و تجاربه و مشاعره، بحيث تقوي هذه الأمور على أية تجربة شعرية[1].

و التجربة بهذا الوصف حدث وجداني ينبع من نفس صاحبه و حواسه الظاهرة و الباطنية، حدث عاشه الشاعر في بطء متنقلا بين جزء و آخر. يحس بالفكرة أو القضية فيتفاعل معها وجدانيا و شعوريا و فكريا، ثم يصوغ هذا الإحساس في أدبه، يقول عنيمي هلال في هذا الصدد: "التجربة الشعرية هي الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حيث يفكر في أمر من الأمور، تفكير عن عميق شعوره و إحساسه، و فيها يرجع الشاعر إلى الاقتناع الذاتي و إخلاص فني لا مجرد مهاراته في صياغة القول ليبعث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم"[2].

فالتجربة الشعرية هي معايشة الإحساس و تكوينه في عمل فني يستغرق فيه لينقله لنا في تناسق و تناغم و إيقاع بأتم معاينة و دلالته.

فالشاعر الفحل هو الذي يستطيع التعايش مع التجربة و التغلغل فيها و التحكم فيها، فالتجربة الكاملة الناجحة هي التي تمكن صاحبها من الغوص في الأعماق، و معرفة خبايا النفس و أسرارها فما يستطيع إلا التعبير عنها بوجدان عاطفي و بصدق فني .

"الشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي سواء كانت تعبيرا عن حالات نفسه هو أو عن موقف إنساني يمثله"[3].

(1) عبد المنعم حافظ الرجبي، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي،دط، دكتوراه جامعة القاهرة، 1979م، ص418.

(2) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، د ط ، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر ، 1997م، ص363.

(3) المرجع نفسه، ص 363.

فالتجربة الشعرية عند أبي فراس تجربة حية كاملة في عدة مواضع، و عبرت عن تجربة حقيقية عاشها الشاعر و تفاعل معها، تجربة سيطرت على إحساسه و وجدانه.

يقول الشاعر حول الافتخار بفروسيتـه:

أَبْلِغ بَني حَمْدَانَ فيُ بلْدَانِـها   كُهُولـهَا، والغُرِّ مِن شُبَّانـهَا

يَومَ طَرَدتُ الخَيلَ عَن فُرسَانِـهَا   وسُقتُمْنْ قَيسٍ وَمنْ جِيرانِـهَا

ذَوي عُلاهَا وَذوي طُعَّانـهَا   وَمُـهرةً، تَمرحُ فِـي أَسطَانـهَا

عَاثِرةً تَعثُرُ فِـي عِنَانِـهَـا   تَرَكْتُ مـَا صَبَّحْتُ مِن فُرسَانِـهَا

وَإبْلاً تُنزَعُ مِنْ رُعْيَانِـهَا   حتَّى إذَا قَلَّ غِنَـا شُجعَانِـهَا[1]

فهو يصف نفسه حين تمكن من الإطاحة ببني كلاب و أخذ حريمهم، واستباح أموالهم و أخذ الخيول من فرسانها و هذا يدل على ما يتميز به أبو فراس من فروسية.

و يقول في موضع آخر:

قنَاتـِي علَى مَا تَعمَد ◌َانصَلينـَةٌ   وَعُودِي علَى مَا تَعلمَانِ صَلِيبُ

صَبُورٌ علَى طيِّ الزَّمانِ وَنَشْرِه وَإنْ ظَهرَتْ للدَّهْرِ فِي نُدُوبُ

وَإنْ فَتىَ لمْ يَكسرِ الأَسرُ قَلْبَـهُ   وَخَوْضُ المَنَايَا جِدُّهُ لَنَجِيبُ[2]

فأبو فراس يصف نفسه بالقوة و الصبر على الآلام و الجراح فلم تكسر قلب ذلك الفتى لقدرته الجسدية على تحمل الألم، و كرم نسبه و أهلها يعارض ضعفه و وهنه.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص295.

(2) المصدر نفسه، ص56.

و يقول أبو فراس:

متَّى تَخلفُ الأَيَّامُ مِثلِي لَكُم فَتىً طَويلَ نَجادِ السَّيفِرَحْبُ المقلَّدِ

متَى تَلِدُ الأيَّامُ لكمْ فتَىً شَديدًا علَى البَأساءِ غيْرَ مُلَهَّدِ

فَإنْ تفْتَدُونِي تَفْتدُوا شَرقَ العُلاَ وَأَسْرَعَ عوَّادٍ إليْهَا، مُعَوَّدِ

وَإنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا لِعُلاَكُم فتَى غيْرَ مَردُودِ اللِّسانِ أوْ اليَدِ

يُدافِعُ عَن أعْرَاضِكُم بِلِسانِـهِ وَيَضرِبُ عنكُم بِالحُسَامِ المُهَنَّدِ

فَمَا كُلَّ مَنْ شَاء المَعَالِي ينَالُهَا وَلاَ كلَّ سَيَّارٍ إِلَى المَجْدِ يَهتدِي[1]

لقد أوضح الشاعر تلك الفتوة التي تمثلت في إقدامه و فروسيّته و نجدته،فالدارس أو المتفحص أو الباحث لقصيدته هذه يلحظ أنه لم يخرج عن الموضوع مما يؤكد لنا أن القصيدة صورت و عبرت عن تجربته الذاتية في الفروسيّة.

و يقول أيضا:

فلاَ تُنكرِينِي، يَا إبنَةَ العَمِّ، إنَّهُ لَيعْرِفُ منْ أَنكَرْتِهِ البَدْوَ والحَضْرُ

وَلا تُنكرِينِي إنَّني غَيرُ مُنْكرٍ إذَا زَلَّت الأَقدَامُ واسْتَنزَل النَّصرُ

وإنِّي لَجرَّارٌ لكُلِّ كَتيبَةٍ مُعوَّدةٍ أَن لاَ يُخِلَّ بِهَا النَصرُ

وإنِّي لَنزَّالٌ بكُلِّ مَخوفَةٍ كَثيرٌ إِلَى نُزَّالِهَا النَّظَرُ الشَّزْرُ[2]

فنجد هما أبو فراس يعبر عن تجربيه الذاتية من خلال وصف تلك الصفات التي تجعل منه قد يكون الفارس بلا أب فارس؟ فارسا حقا.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص84.

(2) المصدر نفسه، ص159.

2- العاطفة:

الكلمة أداة فنية، فهي من أشد و أقوى العوامل التي تقف عندها القيمة الجمالية لأي إبداع لهذا كان الاهتمام بها منذ القدم، حتى تكون أعذب لفظا و أحسن معنى، و أكثر اتساقا و انسجاما مع الجملة التي ترد فيها، ففضاء الشاعر يؤدي دورا كبيرا في تكوين القيمة الجمالية للقصيدة خاصة فضاءه و إحساسه العاطفي، هذا الفضاء الذي وجد فيه الشاعر ضالته للتعبير عن خلجات نفسه و عن أحاسيسه و عواطفه و كل ما يجول في خواطره.

فالعاطفة بكل أمانة و صدق ما هي إلا تعبير عن الحالة الخارجية لباطن الإنسان. فهذا هو مقياس العاطفة، فكل ما يصفه الشاعر أو يعبر به مرجعه إلى التناسب بين ما تصور في عقله و بين حالته النفسية و مزاجه الداخلي، فيصر إحساسه تصويرا دقيقا خاليا من الجفاء و التعقيد، وبذلك يعبر الشاعر أو الأديب عن روحه و عن عواطفه و أحاسيسه، هاته الأخيرة يتلقاها القارئ و كأنه يعيش مع الشاعر حالته فيحادثه و يسمعه و يتأثر به . فالشاعر لا يعبر عن حقيقة أو عن قضية أو رأي من الآراء إلا من خلال إدراكه الوجداني لها و إحساسه العاطفي بها و بذلك يرسم ما تحمله النفس الداخلية في أحسن و أرقى بيان.

والعاطفة مصطلح لم يصدر إلا في العصر الحديث لكن وجوده قائم منذ القدم فهي " التي تمنح الأدب الصفة التي نسميها الخلود "[1] الحال الذي كان في عهد ابن فراس، ولى و اندثر، لكن شعره لم يمت، لماذا ؟!... ذلك لأنه عبر عنه بعاطفة جياشة صادقة مرهفة الإحساس، فالشعر أداته العاطفية، فهو الذي يصور شعور الأديب، و يثير فضول و شعور القارئ و بذلك يسجل أعمق مشاعر الحياة.

الفصل الثاني ـــ الخصائص الفنية لشعر الفروسيّة

(1) أحمد أمين، النقد الأدبي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1963م ص87.

ة، و

أحاسيسه الجياشة المرهفة الإحساس و بذلك أدت العاطفة دورا كبيرا في الأدب عامة و الشعر خاصة، فهي " تحريك لنفس المبدع و خباياه " فـ " العاطفة هي الانفعال النفسي المصاحب للنص "[1]فصدق الإحساس يولد العاطفة الصادقة فهي جوهر و لب الأدب و الشعر، و هي نافذة الشاعر التي يطل من خلالها على خلجاته النفسية من فرح و حزن و أمل و ألم، من شجاعة و كرم و عزة نفس، فتصل هذه الأحاسيس إلى قلب المتلقي، فيتفاعل معه، فما العاطفة إلا تعبير عن شتى ميول الإنسان و رغباته، فهي تعبير أحاسيسه المكبوتة أو المعلنة.

يقول أبو فراس:

ألاَ لَيْتَ شِعرِي، هَلْ أنَا الدَّهْرُواجِدٌ قَرينًا، لهُ حُسْنَ الوَفاءِ قَرِينُ؟

فَأَشْكُو و أشكُو مَا بِقلبِي و قَلبِهِ كِلانَا، علَى نَجوَى أخِيهِ، أمِينُ

و فِي بَعْضِمَن يُلقِي إليْكَ مَودَّةً عدُوٌّ، إذَا كَشفْتَ عنْهُ، مُبِينُ

إذَا غَيّرَ البُعْدُ الهَوَى فَهوَى أبِي حُصيْنٍ مَنيعٌ، فيِ الفُؤادِ، حَصينُ

فلاَ بَرِحَتْ بِالحَاسدِينَ كَآبـةٌ وَلا هَجَعَتْ للشَّامِتينَ عُيُونُ[2]

الشاعر هنا يشكو ما بقلبه و قلب ابنه الأسير، فهو يعبر عن إحساسه الحزين و المؤلم، و عن انفعالات متدفقة موسومة بنبرات من العزبة و الألم، جاءت هذه الأشعار عن قلب متألم حزين لفراق ابنه، فبعده عنه أشعل الفؤاد نارا و ألما. فعاطفة الشاعر هنا متدفقة معبرة عن الاشتياق و الألم لفراق ابنه.

(1) احمد الشايب، اصول النقد الادبي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1973م، ص198.

(2) ديوان أبي فراس الحمداني، ص291.

و يقول أيضا:

وراءَكَ يَا نُمَيْرُ !فلاَ أمَامُ فقَد حَرُمَ الجزيرَةُ والشّـَامِ

لَنَا الدُّنيَا، فمَا شِئنَا حـلاَلٌ لِساكِنـهَا و مَا شِئْنَـا حَرَامُ

وَينفُذ ُأَمرُنَا، فِي كلِّ حَـيٍّ فَيُدنيهِ و يُقصيـهِ الكَـلامُ

ألَم تُخبِركَ خَيلُكَ عنْ مَقَامِي بِبَالِسَ يومَ ضاقَ بِهَا المُقَامُ !

إلى أن يقول:

َتنَازَع بي و بِالفُرسَانِ حَولِي تُجْفِلهُم، كمَا جَفَلَ النِّعامُ[1]

فالمتأمل في شعر أبي فراس يدرك تعلقه الكبير بالفروسية، هذا التعلق أضحى واضحا في شعره، فعبر عنه بإحساس صادق، فالقارئ لشعره يلم قوة العاطفة و صدقها ففي شعره تظهر عواطفه بقوة، وبهذا نلمح الصدق فيها ونتأكد من عاطفة الشاعر.

ويقول:

ولَطالَمَا قُدتُ الجِيادَ إلى الوَغَى قب البُطُونَ طَويلَـةَ الأرْسَانِ

وأنَـا الذّي مَـلأَ البسِيطـةَ كلّهَا نَاري، وطنَّبَ في السمَاء دُخَـانِي

إنْ لمْ تكُن طَالتْ سنّـي فإنَّ لـي رأْيَ الكُهولِ و نَجدَةَ الشُبَّـانِ

قَمِنٌ بمَـا شاءَ الأعادِي مَوقِفِي وَالدَّهْرُ يَبرزُ لِي معَ الأَقرَانِ

يَمضِي الزَّمَانُ، وما ظَفَرْتُ بِصاحِبٍ إلاَّ ظَفِـرتُ بصَاحبٍ خَوَّانِ

يَا دَهْرُ خُنتَ مع الأصادِقِ خُلَّتِي وغَدَرْتَ بي فِي جُمْلةِ الإخْوانِ[2]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ص264-265.

(2) المصدر نفسه، ص304.

الشاعر هنا يعبر عن صدق مشاعره وأحاسيسه فيصرف شجاعته في القتال وقيادة الجياد التي أشعلت النيران ووصل دخانها إلى السماء. فمن خلال هذه الأبيات ندرك مدى صدق عاطفة الشاعر في التعبير عن خلجات نفسه وخباياها.

ويقول كذلك:

اطرَحُوا الأَمرَ إلينَا   و احْملُوا الكلَّ عليْنَا

إنَّنَا قوْمٌ إذَا مَا   صَعبَ الأمْرُ كَفينَـا

وإذَا ما رِيمَ منّاَ   مَوطِنَ الذُّل أبَينـا

وإذَا ما هَدمَ العِـ   زَّ بَنُوا العِزَّ بَيْننَـا[1]

أبو فراس يفتخر بقومه على تحمل الصعاب، ورفض الذل والمعاني، فهو في تعبيره هذا يؤكد لنا صدق عاطفته اتجاه قومه ونفسه.

والعاطفة سرعان ما أثرت في أذن السامع أو القارئ الذي تجاوب وتفاعل مع الشاعر وكأنه يعيش مع أحاسيسه ومشاعره.

3- اللغة:

المقصود باللغة الكلمات ومدلولاتها، وإن كانت هي الجزء الرئيس في اللغة، وإنما المقصود بها: هو اختيار الكلمات والعبارات المناسبة لتكسو المعنى أو الفكرة ككساء الجسد للروح في إنتاج جسم حي متحرك، إذ أن الكلمة ليس لها في ذاتها صفات أدبية خاصة، ولا توجد كلمة قبيحة أو أخرى جيدة، ولكن لها جملة من التأثيرات الممكنة تختلف طبقا للظروف التي توجد فيها.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص296.

وللغة أهمية كبيرة عند الشاعر، فهي" ميدان الشاعر، على أرضيته تتم ولادة القصيدة، فمن خيوطها ينسج الشاعر ومن شرايينها تتدفق الحياة في عروقه، وعلى قدر ثرائها تتوافر حيوية دافقة في قلب الكيان الشعري"(1).

ولا شك في أن الشاعر يختار ألفاضه التي تؤثر في السامع القادرة على نقل تجاربه ومشاعره، وعواطفه وانفعالاته وما يجول في فكره، يقول محمد مجيد السعيد" الألفاظ يمكن أن تؤدي دورا هاما في ترجمة جيشا من العواطف الوجدانية والتعبير عنها بصورة دقيقة تامة ويساعدها بذلك ما تتمتع به من أبعاد نفسية وظلال موحية وهالة شفافة تشع عما تكنه من شحنات عاطفية وما تحتمله من دلالات انفعالية تجذب إليها الشاعر فتصدق التعبير عن نفسه، وتؤثر في سامعيه"(2).

فالألفاظ عنصر مهم من عناصر الشعر يتجه الشاعر فيه إلى طريق خاص، فيختار الألفاظ المناسبة، والألفاظ الحسنة كي يؤدي بها المعنى المراد به، يقول قدامة بن جعفر " أن يكون اللفظ سمحا، سهل المخارج من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة"(3).

فالشاعر يحرص على الألفاظ ويعلم بأهميتها، خدمة للمعنى الذي يريد إيصاله.

ولقد عمل أبو فراس الحمداني على تفجير ما يملكه من طاقات للغة، فأتى بألفاظ سهلة التناول، قوية المدلول، تتناسب مع شخصيته القوية، وبالنظر إلى لغة شعره فهي لم تتغير عنده عن غيره من الشعراء الفرسان، ولعل ذلك يرجع إلى أن موضوع الفروسية ليس بالموضوع الجديد على الشعر، ولكن ذلك لا يخفي حق التميز ، فهو يبحث بتواصل في اللغة حتى يصل إلى العبارة الشعرية التي تميزه عن غيره، فكانت لأبي فراس تلك الألفاظ

(1) عدنان حسين قاسمن التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر، 1421هـ- 2000م، ص39.

(2) محمد مجيد السعيد، الشعر في عصر المرابطين والموحدين، ص330.

(3) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، د ط ، حقيق: محمد عبد المنعم حقاجي ، د ت، دار الكيت العلمية بيروت- لبنان، ص74.

ذات المدلول القوي التي تعبر عن الصورة البطولية وتظهرها بشكل فريد يتناسب مع شخصيته، هذه الشخصية التي أثرت تأثيرا بالغا على لغته الشعرية، التي غلبت عليها ألفاظ الفروسية نظرا لكون أبي فراس احد الفرسان المعدودين.

لقد ظهرت اللغة الحربية في شعره بشكل كثيف، وذلك لقربه من شخصية الشاعر الفارس، الذي كان يعيش في مجتمع حربي بالدرجة الأولى.

وقد كان معظم شعره آسرا للقلوب بسهولته وجزالته ورقته، وهذا رأي كثير من النقاد الذين تناولوا شعره، فقد رأوه يتسم بسهولة ألفاظه ، ووضوح معانيه، حتى في نهجه نهج الشعراء السابقين، فلم يكن أبو فراس مغرما بالغريب أو مستكرا منه.

ولعل اتصاف شعر أبي فراس بالسهولة والوضوح، والبعد عن التعقيد والتكلف، راجع إلى ثقافة أبي فراس، وسعة اطلاعه على أشعار السابقين.

وقد ظهرت الجزالة بوضوح في شعر أبي فراس الحربي الذي صور وقائع الحروب وأهوالها، وأماكن القتال وأدواته.ولا نقول أن هذه الحرب كانت مهيمنة على ألفاظ أبي فراس بل تعدتها لتصف أي تجربة أراد أن يعبر عنها، فإذا كانت ألفاظ الحرب قذ سيطرت على مدائحه الحربية، فإنه قد أحسن توظيف مفرداته للجوانب الأخرى مثل السيادة والشرف والقيادة والكرم، والصبر وغيرها.وظّف أبو فراس الكثير من الألفاظ التي عبرت عن فروسيته كقوله:

فَلاَ نزَلتْ بيالجِيرانُ إنْ لمْ أُجَاورُهَا مُجَاورَةَ البِّحَارْ

ولاَ صَحبتْنِي الفُرسانُ إن لمْأُصاحِبهَا بِمَأمُونِ الفِرارْ

ولاَ خَافَتنِي الأمْلاكُ إنْ لمْأُصَبِّحْهَا بِمتَلّفِ الغُبارْ

بِجيْشٍ لا يَحلُّ بهِم مُغيرْ ورَأيٌ، لا يَغُبُّهُم مَغَارْ[1]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص169.

فهذا أبو فراس مفتخر بنفسه وبفروسيّته التي يخشاها الكثير، ويحسب لها الحساب.

ويقول:

لئِنْ خُلِقَ الأنامُ لِحَسْوِ كَأْسٍ ومِزْمَارٍ، وطَنْبُورٍ، وعُودِ

فلَمْ يُخلَقْ بنُو حَمْدَانَ إلاَّ بمَجْدٍ، أوْ لِبَأْسٍ أوْ لِجُودِ[1]

ويقول متغزلا بألفاظ حربية:

أَغَرْنَ علَى قلْبِي بِخَيْلِمنَ الهَ فَطارَد عنْهُنَّ الغَزالُ المُغازِلُ

بِأَسْهُمِ لفْظٍ لمْ تُركَب بِقتَالُـهَا وَأسيَافُ لحظٍ مَا جَلَتْهَا الصَيَاقِلُ*

وَقائِع قَتْلَى الحُبِّ فيهَا كثيرةٌ ولمْ يشْتهِرْ سَيْفٌ، ولاَ هُزَّ ذابِلُ**

أرَامي، كلُّ السِّهَامِ مُصيبَـةٌ وأنْتِ لِي الرَّامِي، وكُلِّي مُقاتِلُ

وإنِّي لَمِقدامٌ وعِنْدَك هائِبُ وفِي الحَيِّ سحْبَانٌ وعنْدَك بَاقِلُ***[2]

ردد في شعره أدوات الحرب(السيف، الرمح، السهام، الخيل.....) وهذا دليل على تلك المكانة التي تختلها الفروسية في نفسه بكل مقوماتها

يقول:

فلاَ تَصِفنَّ الحَربَ عنْدِي فإنَّهَا طَعَامِي مُنذُ بِعْتُ الصِّبَا وَشرَابِي

وقَدْ عَرَفْتُ وَقْعَ المسَامِيرِ مُهْجَتِي وشُقِّقَ عنْ زَرْقِ النُصُولِ إهَابِي

وَلجَجْتُ في حلُوِ الزَّمانِ ومرِّ وَأنفَقْت مِن عُمرِي بغَيرِ حِسابِ[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص56.

(2) المصدر نفسه، ص124.

(3) المصدر نفسه، ص33.

* الصياقل: من يقوّمون السيوف ويجلونها / ** ذابل: صفة للرمح / *** باقل: اشتهر بغبائه، فضرب بهالمثل.

ويقول:

أتَزعَمُ يا ضَخْم اللَّغادِيدِ، أنَّنا وَنحْنُ أُسودُ الحَرْب لا نَعرْ فُالحَربَا

فَويْلكَ منَ للحَربِ إنْ لَمْ تَكنْ لهَا ومَنْ ذا الذّي يُمسِي ويُضحِي لهَا تَربَا

ومَنْ ذا يلُفُ الجَيشَ منْ جَنبَاتهِ؟ ومَنْ ذَا يَقُودُ الشُّمَ أوْ يَصدِمَ القْلبَا

إلى أن يقول:

أَتُوعِدنَا بِالحرْبِ حتَّـ كَأنَنَّا وإيَّاكَ لمْ يُعصَبْ بِهَا قَلبُنَا عَصْبَا؟

لقَدْ جَمعَتنَا الحَربُ منْ قَبْل هَذهِ فَكُنَّا بهَا أَسدًا وكنتَ بهَا كَلْبَا[1]

فقد وقعت مناظرة بين أبي فراس و الدمستق، وهو في أسره، فقال له الدمستق: " إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب" فرد عليه أبو فراس قائلا: " نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟"[2]ثم أتبع قوله بهذه الأبيات السابقة الذكر.

يصف أبو فراس وقائع الحرب مع أعدائه تظهر فيها الجزالة في أوضح صورها، وتتجلى فيها اللغة الحربية مثل استعماله ألفاظ: حازمٌ، حسامٌ، جوادٌ، مُطَمَّمٌ، دُروعٌ، سُيوفٌ، ضاربٌ، طاعنٌ، خَرُوجٌ، ولُوجٌ، عنجوجٌ.

وهذه الصفات تدل على الثبوت، فهي صفات ثابتة للممدوح ولا تنتقل عنه، لكن نلاحظ أن أبا فراس لا يذكر من هو هذا الممدوح، ولا يذكر اسمه، وذلك رغبة منه بأن يجعل من معانيه متميزة، وتظهر بألوان مختلفة، وأخبار مغايرة و إلى جانب تلك الصفات استعمل أبو فراس أفعالا ترسم لنا جو المعركة المليء بالحركة لا يهدأ ولا يتوقف ومنها: (سار، يوقنوا، لقد، نقرهم، ضربت، أوسع.....)

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص39.

(2) المصدر نفسه ، ص 31

كقوله:

يا ضَارِب الجَيشِ بي فِي وَسطِ مَفْرِقِهِ لقَدْ ضَرَبْتَ بعيْنِ الصَّارِمِ العَضبِ

لا تَحرُزُ الدَّرعَ عنِّي نفسَ صَاحبَهَا ولاَ أُجيرُ ذِمامَ البيضِ واليَلَبِ

ولاَ أَعودُ بِرُمحِي غيرَ مُنْحَطِم ولا أَرُوحُ بسَيْفِي غيْرَ مُختضِبِ[1]

ونعيد التذكير مرة أخرى أن الجزالة في الألفاظ ليست مقتصرة على الحرب فقط، بل هي ظاهرة في شعره الذي يريد التعبير به عن ما يشعر به، كالغزل مثلا إذ يقول:

سَلامٌ رائِحٌ، غادِ علَى ساكِنةِ الوَادِي

علَى مَن حُبُّهَا الهَادِي إذَا مَا زُرتُ والحَادِي

أحِبُّ البَدوَ ومِن أجْلِ غَزالٍ فيهِمُ بادِ

ألاَ يا ربَّةَ الحُلِّي علَى العاتِقِ والهَادِي[2]

في هذه الأبيات يتغزل أبو فراس بمحبوبته التي تسكن بالوادي فيكسو ذلك الغزل بألفاظ جزلة (غاد، باد، العاتق.....) وهي بحق بنبض صادق يعكس انفعالاته ومشاعره التي يكنها اتجاه محبوبته.

4-الأسلوب:

الأسلوب وسيلة من وسائل نقل الأفكار والمعاني وإخراجها في قالب يدعو إلى الإعجاب والاندهال فـ " الأسلوب مبدأ التركيب النشط الرفيع الذي يتمكن به الكاتب من النفاذ إلى الشكل الداخلي لمادته، والكشف عنه، ويعرفه موريهMORIH بقوله: الأسلوب بالنسبة لنا موقف الوجود وشكل من أشكال الكينونة وليس في الحقيقة شيئا نلبسه ونخلعه كالرداء،

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص52.

(2) المصدر نفسه، ص92.

ولكنه الفكر الخالص نفسه والتحويل المعجز لشيء روحي إلى الشكل الوحيد الذي يمكننا به تلقيه وامتصاصه"[1].

فالأسلوب طريق يستخدمها الأديب أو الشاعر في التعبير عن قضية أو فكرة أو موقف يجول في فكره وخاطره، فيبرز من خلاله شخصيته الأدبية وملكته الشعرية عن غيره، إذ يلجأ إلى الموسيقى والإيقاع، والمجاز والخيال، والرمز وكل ما يلاءم قصيدته "والأسلوب سمة أصيلة من سمات الفكر الفردي فكل فنان كبير يترك بصمته الخاصة فيما يكتب لأنه سيستخلص من كل شيء ما لا يناسب عبقريته الشخصية "[2].

فهذا الأسلوب ما هو إلا وسيلة يصف من خلالها الشاعر لأفكاره في قالب تعبيري لغوي منظم، ومن هنا نلاحظ أن الأسلوب يختلف بين شاعر وآخر، فلكل واحد طريقته التي تميز إلهامه و إبداعه وقدرته الفنية على الصياغة والتركيب فيظهر بذلك أسلوبه الخاص.

تميز أسلوب أبي فراس الحمداني بالعذوبة والسلاسة والوضوح، نقل به معانيه في شكل يدعو إلى الإعجاب، كما يتميز شعر أبي فراس **بالاضطراد** في القصيدة الواحدة، إذ نجده يسير في مستوى واحد من الأسلوب لا يتغير من أول القصيدة إلى آخرها، الأمر الذي يشعر بمتعة التلقي ولذة التذوق، ونجد أن الاضطراب الأسلوبي يحسن في القصيدة البسيطة ذات الموضوع الواحد المسيطر على الأبيات ومن ثم يظهر لكل نص ما يناسبه من الأسلوب، وهي مزينة حسنة يوفق إليها الشاعر المتمكن من أداته الشعرية، وذلك ظاهر بجلاء في شعر أبي فراس.

وقد امتدح النقاد القدامى هذه الميزة الأسلوبية، وأثاروها في قراءتهم للشعر، فرأوا بأن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا تعريفك مثل تصريحك، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت.وتأمل

(1) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، 1419هـ–1998م، ص67.

(2) منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002م، ص ص34،45.

هذا المثال من شعر أبي فراس لتبين مقدار ما برع فيه من جودة الأسلوب لما يطرقه من غرض، يقول أبو فراس مادحا سيف الدولة:

أسَاءَ فزادَتْهُ الإسَاءةُ خُطوَةً حَبيبٌ، علَى ما كَانَ منْهُ، حَبيبُ

يَعدُّ علَّي العَاذلُونَ ذُنُوبـه ومِنْ أيْنَ للوَجهِ المَليحِ ذُنوبُ؟

فيَا أيُّهَا الحَافِي وَنسْألُهُ الرِّضَا ويَا أيُّهَا الجَانِي، ونَحْنُ نتُوبُ

لَحَى اللهُ مَنْ يَرعَاكَ فِي القُربِ وحْدهُ وَمنْ لاَ يحُوطُ الغَيبَ حينَ تَغِيبُ[1]

ففي هذه الأبيات نهج أبو فراس أسلوبا رقيقا عذبا يناسب موقف اللباقة، ولكن أسلوب المدح باللباقة يختلف عن المدح بالشجاعة والبأس كقوله:

ولَمَّا ثارَ سَيْفُ الدِّين ثُرنَا كَمَا هيَّجتْ أسادًا غِضابَا

أسِنَّتُهُ إذَا لاقَى طِعانًاصَوارمُهُ إذَا لاقَى ضِرابَا

دَعانَا والأَسِنَّةُمُشرعَاتٌذفَكُنَّا عنْدَ دَعوتِهِالجَوابَا

صَائغٌ فاقَ صايُغُهَا ففَاقَتْ وَغرْسٌ طابَ غَارِسُهُ فطَابَا[2]

إلى جانب **الاضطراد** الذي تميز به شعر أبي فراس نجد أسلوب **الإقتباس**."وهو أن يضمن المتكلم شعرا كان أو نثرا شيئا من القرآن أو الحديث الشريف "(3).

و إذا تأملنا شعر أبي فراس، نجده قد تأثر كثيرا بأسلوبي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهذا دليل على قربه الشديد من مصادر الثقافة العربية الإسلامية.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص44.

(2) الصدر نفسه ، ص 15.

(3) أحمد محمود المصري: رؤى البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علي البديع، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ، 2007م، ص117.

يقول:

قُولاَ لهَذا السيّدِ المَاجدِ قَوْلَ حَزينٍ مِثلُهُ فاقِدِ

هَيْهَاتَ ما فِي النَّاسِ منْ خالِدٍ لاَبُدَّ منْ فَقْدٍ ومِنْ فَاقِدِ[1]

فهو يقتبسها من قوله تعالى: « وَمَا جَعَلنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ(34)» سورة الأنبياء.

ومن أثر القرآن في شعره، قوله:

لعَمُرِكَ مَا الأَبْصَارُ تنفَعُ أَهْلَهَا إذا لَمْ يَكُن لِلْمُبْصِرينَ بصَائرُ[2]

وذلك من قوله تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فإنَّها لاَ تَعْمَى الأَبصَارُولَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التِّي فِي الصُّدُور(46) »سورة الحج.

الشاعر متأثر بالقرآن الكريم لذا نجده يقتبس من كلام الله تعالى، وذلك ليقرب الفكرة إلى ذهن السامع، وليوضح صدق شعوره اتجاه قومه.

ومن سمات أسلوبه أيضا استعماله الأساليب الإنشائية على اختلافها من نداء وتمني واستفهام وغيرها.

أسلوب النداء:

تعددت أساليب النداء في شعر أبي فراس الحمداني، يقول مخاطبا أحد المنجمين:

يَا مُعجبًا بِنجُومِه لاَ النَّحْسُ مِنْكَ ولاَ السَّعادَة

اللهُ يَنقُصُ ما يَشَا ء و في يد الله الزيادة

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص76.

(2) المصدر نفسه ، ص106.

(3) المصدر نفسه، ص 81 .

وينادي قومه بقوله:

أيَا قَوْمَنَا لاَ تُنْشِبُوا الحَربَ بَينَنَا أيَا قَوْمنَا لاَ تَقطَعُوا اليَدَ باليَدِ[1]

وها هو ينادي سيف الدولة بعد أن وصله خبر وفاته فقام برثيه:

يَا منْ أَتَتْهُ المنَايَا، غيْرَ حَافلةٍ أيْنَ العَبيدُ وأَيْنَ الحِيَلُ وَالحَوَلُ[2]

إذن، فقد تضمن شعر أبي فراس أسلوب النداء الذي خاطب به قومه وقائده سيف الدولة الحمداني.

أسلوب الاستفهام:

وهو من صيغ الإنشاء الطلبي في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ومن ذلك قوله:

أحَارِثٌ، مَنْ صَافحٌ، غَافِ لهُنَّ إذَا أنْتَ لمْ تَغفِرِ[3]

فالإستفهام هنا حول تعجب أبي فراس حول صحفه عن بني كلاب وخاصة النساء الذين التمسوا العفو لذويهم.كما يقول:

وَهلْ يُطْلَبُ العِزُّ الذّي هُوَ غائِبٌ ويُتْرَكُ ذَا العِزُّ الذّي هوَ حاضِرُ؟[4]

والاستفهام هنا حول تأكيد عز قومه الذين يملكونه ونسبهم المشرف الذي لم تدسه الشوائب.ويقول أيضا:

هَلْ ترَى النِّعمةَ دامَتْ لِصَغِيرٍ أوْكَبِيرِ؟

أَوْ ترَى أَمرَينِ جَاءَا أوَّلاًمِثلَ أخِيرِ[5]

(2) المصدر نفسه، ص240.
(3) المصدر نفسه، ص172.
(4) المصدر نفسه، ص117.
(5) المصدر نفسه:ص151.

وَكمْ لِي علَى بَلْدَةٍ   بكَاءٌ ومُسْتَعبَرُ؟![1]

فقد استخدم الاستفهام هنا تعبيرا لحرقته وشوقه لبلدته وأهله وحبيبته وإلى من يشكو همومه.

<u>أسلوب التمني:</u>

وهو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى، لاستحالة الحصول عليه، أو بعد مناله، وقد ظهر في شعر أبي فراس مثل قومه:

فياَ لَيْتَنَا دَانِي الرَّحمِ منَّا وَمِنكُم   إذَا لَمْ يُقَرِّب بَينَنَا لمْ يُبَعِّدِ[2]

ويقول أيضا:

فَلَيْتَكَ تَحلُو والحَياةُ مرِيرَةٌ   وَلَيتكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الذّي بينِي وبَينَكَ عامِرٌ   وَبَينِي وبَيْنَ العَالمِينَ خَرَابُ

فَيَا لَيْت شُرْبِي مِن وِدادَكَصَافِيًا   وَشُرْبِي مِن مَاءِ الفُرَاتِ سَرَابُ[3]

فأبو فراس يرى أنه لو يرضى سيف الدولة عليه وتمتد المودة بينهما هي أمور قد تحقق، وهي ليست مستحيلة، ولكن الجفاء المستحكم، والهجر المرير، والإنقطاع المستمر الذي يخيم على قلب سيف الدولة، جعل أبا فراس يتخيل أن تلك مطالب، إن كانت ممكنة التحقق في بني الإنسان، إلا أنها غير ممكنة في حياة سيف الدولة خاصة في ذلك الوقت.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص153 .
(2) المصدر نفسه، ص99.
(3المصدر نفسه، ص27 .

أسلوب النهي:

أما النهي فهو طلب الكف عن فعل شيء ما، وقد ورد النهي في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة في صور متعددة ومن أمثلة ذلك:

فلاَ تَحْمِل علَى قَلْبِ جَريحٍ بِهوْ لِحوَادِثِ الأيَّامِ نَدْبُ[1]

وقد استعمل النهي هنا مطالبا سيف الدولة بأن لا يلوم أسيرا ولا يعتب عليه، فيكفيه مصائبه.

ويقول له أيضا:

لاَ تُلْزِمْنِي خُطَّةً لاَ أُطِيقُهَا فَمَجْدُكَ غَلاَّبٌ، وَفَضْلُكَ بَاهِرُ[2]

5-الصورة الشعرية:

احتلت الصورة الشعرية مكانة مهمة في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة، فقد حظيت بمكانة كبيرة في الأدب العربي لأنها استطاعت أن تسمو إلى مراتب شامخة دون غيرها من الأدوات التعبيرية، فقد عالجها النقاد قديما وحديثا مع اختلاف وجهات النظر إلى مفاهيمها ودلالاتها، فالنقد القديم على سبيل المثال عالج الصورة مرتكزا على التشبيه والمجاز، فالشعر كما يقول الجاحظ: " الشعر صناعة ضرب من النسيج و جنس من

التصوير"[3]، وهي " ضرب من النظم والطريقة فيه أو أنه المنوال الذي قالوا ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه" [4].

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص31.

(2) المصدر نفسه، ص113 .

(3) الجاحظ، الحيوان، ط2، تحقيق عبد السلام هارون، شركة مكتبه ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، 485هـ-965م، ج3 ، ص132.

(4) محمود عبد الواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 1431هـ-2010م، ص26.

"أما الدراسات النقدية الحديثة فقد كشفت عن محاولات عديدة لتحديد مفهوم الصورة الفنية مفهوما يبرز ملامحها ومعالمها، فالصورة الشعرية هي المتلقي يشارك المبدع أفكاره وانفعالاته" [1].

فالصورة الشعرية هي وسيلة الشاعر للتعبير عن أفكاره وإظهار انفعالاته وعواطفه، وخلجات نفسه، فهي الجوهر الثابت للشعر وبذلك ظل الاهتمام بها قائما ما دام هناك شعراء مبدعون فلا يعد الشعر شعرا بدون التصوير الفني، لذلك يحكم عز الدين إسماعيل على الصورة في الشعر العربي القديم بأنها:" حسية، حرفية، شكلية، جامدة، دون أن يستثني عصرا أو شاعرا[2].

مخيلة وقريحة أبي فراس الحمداني خصبة قادرة على التركيب و الاستيحاء، و إعادة البناء وخلق الجديد، وساعدته على ذلك الملكة الشعرية، إلى جانب الثقافة الواسعة على النحت والتصوير والإبداع، فأكثر في التشبيه والاستعارة، معتمدا في ذلك على عناصر مادية محسوسة استمدها من الإنسان، الحيوان والطبيعة المحيطة به.

فقد كان أبو فراس ذا خيال واسع أبرزه في تلك الصور التعبيرية التي جاءت قالب كامل الملامح، بارز المعالم، يفيض بالفروسية و الشجاعة، حيث وجد القارئ أو المتلقي في هذه الصور متعة و لذة. ولقد استخدم أبو فراس عددا من الأدوات الفنية في تشكيل صوره و رسمها و منها:

أ- **التشبيه:** و هو اشتراك شيء مع أشياء أخرى في صفة أو أكثر و هو من أكثر الفنون البيانية نظرا و عناية عند القدماء فهو يزيد المعنى وضوحا و يكسبه تأكيدا وهو "الإخبار بالشبه و إشراك الشيئين في صفة أو أكثر، و لا يستوعب جميع الصفات "[3]

(2) محمود عبد الواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1431هـ-2010م، ص26.

(1) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ط2، دار الفكر العربي ، 1377هـ-1958م، ص14.

(2) بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ط2، مكتبة أنجلو المصرية 1377هـ-1958م، ص220.

يقول أبو فراس:

وَقَد يَكبُرُ الحَطبُ اليَسيرُ و تَجتَنِي أَكابِرُ قَومٍ مَا جنَاهُ الأَصَاغرُ

كمَا أَهْلَكتْ كَلبًا غُواةُ جُناتِـهَا وَعمَّ كِلابًا مَا جَنتْهُ الجَعافِرُ

شَرَبنَا وَبِعنَا بِالسُّيوفِنفُوسُـهمْ ونَحنُ أُناسٌ بِالسُّيُوفِ نُتاجِرُ

وَصُنَّا نِساءً، نَحْنُ أَولَى بِصَونِهَا رَجَعنَ، وَ لمْ تُكشَفْ لَهنَّ سَتَائِرُ

يُنَاديهِ و العِيسُ تُزجَى كَأَنَّهَا عَلَى شُرُفاتِ الرُّومِ نَخلٌمَواقِرُ[1]

الشاعر هنا يذكر الناقة المثقلة بالرطب لا تستطيع التحرك إلا بصعوبة، فالشاعر يشبه بها عتاد الحرب و هو يتدلى من جوانب النخل و المعنيان كلاهما يدلان على استعداد الجيش لخوض المعارك.

و يقول أيضا:

فِي كُلِّ يوْمٍ تَزور الثَغرَ، لاَ ضَجَر يَثْنِيكَ عنْـهُ، و لاَ شُغلٌ و لاَ مَلَلُ

فَالنَّفسُ جَاهدَةٌ، وَ العَينُ سَاهدَةٌ والجَيْشُ مُنهِمكٌ و المَالُ مَبتذِلُ

تَوَهَّمتكَ كِلابٌ غَيْرَ قَاصِدهَا وقَدْ تكَنَفَّكَ الأَعدَاءُ و الشُغْلُ

حتَّى رَأَوْكَ، أَمَام الجَيْش تقدُمُـهُ وقَدْ طَلَعتْ عَليْهِمْ دُونَ مَا أَمِلُوا

فاسْتَقْبلُوكَ بِفُرسَانٍ، أَسنَّتُهَا سُودُ البَرَاقِعِ، و الأَكْوَارُ و الكِللُ

فَكُنْتَ أَكْرَمُ مَسؤُولوَأَفْضَلُـهُإذَا وَهبتْ فلاَ مَنٌّ وَ لاَ بُخلُ[2]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص116.

(2) المصدر نفسه، ص220.

الشاعر في الأبيات يشبه ضعف الجيش بمنظر النساء الراكبات على ظهور الإبل، و هذه النساء تلحق بالرجال الهاربين من المعركة و هن نسوة دون سلاح كانوا يطلبون من سيف الدولة إطلاق سراحهن.

و يقول أبو فراس أيضا:

لكِنْ أتَتْ دُونَ السُّرورِ مَساءَةٌ وَصلَتْ لهَا كَفُّ القُبولِ بِساعِدِ

فَصَبرْتُ كَالولَدِالتَّقِي لِبرِّهِ أَغْضَى علَى ألَمٍ لضَرْبِ الوَالِدِ

و نَقَضتُ عَهدًا كَيْفَ لِي بِوفائِهِ و سُقِيتُ دُونكَ كَأْسَ هَمٍّ صَارِدِ[1]

الشاعر هنا يصور نفسه بالولد التقي الصابر لإهمال سيف الدولة له، فهو يعتبره كولده لا يخالفه و لا يعصي أوامره.

و يقول كذلك:

و وَلَى علَى الرَّسمِ الدُّمُسْتُقِ هَاربًا و فِي وَجهِهِ عُذَرٌ مِن السَّيفِ عَاذِرُ

فَدى نَفْسهُ بِابنِ علَيْهِ كَنفْسهِ و لِشِدَّة الصَمَّاءِ تُقتَى الذَّخَائِرُ[2]

أبي فراس يصور مكانة ابن الدمستق في نفس أبيه في منزلة نفسه، فكلاهما عزيز رفيع على قلبه .

و يقول أبو فراس مشبها جيشه بالسهام المضيئة:

و كُنَّا كالسِّهامِ إذَا أصَابَت مَرامِيهَا فَراميهَا أصَابَ

قَطعْنَ إلَى الجَبَّارِ بنَا مُعانَا و نَكَبْنَا الصُبَيْرَةَ و القِبابَا[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص78.

(2)المصدر نفسه، ص115.

(3)المصدر نفسه، ص15.

أبي فراس يشير هنا إلى الجيش المختار بعناية، فهو يضم الفرسان الشجعان الصناديد الذين يصيبهم أهدافهم بكل دقة.

و بهذا يكون التشبيه قد نال نصيبا جيدا من شعر أبي فراس عرض فيه صورا مختلفة ليصل به إلى مغزى أراده .

ب- الإستعارة:

لون من ألوان البيان، فهي من أدق أساليبه تعبيرا و أرقاها تأثيرا على المتلقي الذي يجدها أجمل تصويرا و أقوى تأدية للمعنى، فهي بالأصل تشبيه حذف أحد طرفيه فالاستعارة "ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه"، فبالاستعارة يتمكن الشاعر من رؤية الأعمى بصيرا والأعجم فصيحا، والخفي باديا. أما الاستعارة في شعر أبي فراس هي استعارات قامت على صور تقليدية نهجها من خلجات صدره.

يقول أبو فراس:

أَسيْفُ الهُدى، وَقريعَ العَربْ عَلاَمَ الجِفاءُ؟ وَفِيمَالغَضبْ؟

ومَا بَالُ كتُبكِ قَد أَصبَحَتْ تَنكَّبُني معَ هذَا النِّكَبْ

وأَنْتَ الكَريمُ، وأَنْتَ الحَليمُ وأَنْتَ العَطُوفُ، وأَنْتَ الحَدِبْ

ومَازِلتَ تَسْبِقُنِي بالجَميلْ وتُنزِلُني بِالجِنابِ الحَصِبْ[1]

أبو فراس يصور لنا سيف الدولة وهو ينقض على الأعداء فينزع صفوفهم، ويفكك جمعهم ويخلص أسراه، ومن بينهم أبو فراس الحمداني. والصورة هي استعارة تصريحية، ذكر المشبه به وهو السيف، وحذف المشبه وهو الأمير، والصورة هنا صورة تقليدية تحكي عما عرفه العرب من تصوير الفارس الشجاع بالمحارب بالسيف في عزمه ومفنيه.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص28.

(2) عبد العزيز عبد العتيق،في البلاغة العربية وعلم البيان،دار النهضة العربية،بيروت_لبنان،ص175.

يقول أيضا:

ولَكِن نَبا مِنهُ بِكَفَّيَ صَارِمٌ وَأظْلَمَ فِي عَيْنَيَّ مِنهُ شِهَابُ

إلى أن يقول:

فَأحْوَطُ للإسْلاَمِ أَنْ لا يُضَيِعَنِي ولا عَنْكَ فيهِ حَوْطَةٌ ومَنَابُ[1]

صور الشاعر سيف الدولة وهو متأخر عن نداء وكذا فدائه ونجدته، بينما الموت قادم لا محالة، فهو لا يتأخر أبدا فقد أخرج أظافره، وكشر عن أنيابه للهجوم والانقضاض على أبي فراس.

ج الكناية:

هي نوع من أنواع الأساليب التعبيرية التي تنتج معاني شعرية عذبة. فهي "كلفظ دال على معنى يجوز حمله على الحقيقية والمجاز....، أو هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجاز من غير واسطة لا على جهة التصريح"[2].

ولكن هناك الكثير من البلاغيين لا يعدون الكناية من المجاز ذلك أن الكناية يمكن ورود المعنى الأصلي فيها، في حين أن المجاز لا يمكن أن يورد فيه المعنى الأصلي، ومعنى هذا أن الكناية كثيرا ما تمتزج بالدلالة الحقيقية للصورة، فهي أقرب أنماط الصورة إلى التعبير المباشر الفطري.

وقد استعمل أبو فراس في أشعاره من أجل تبيان دلالة الفروسية والدلالة المخفية وراء شجاعته وإقدامه وفروسيته، فشخّص هذه الأخيرة في صور متعددة يقول:

وهَلْ عُذرٌ وسَيْفُ الدَّولةِ رُكنِي إذَا لَمْ أرْكَبِ الخُطَطَالعِظامَا[3]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص26.

(2) محمود عبد الواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص495.

(3) المصدر السابق ، ص 267 .

فأبو فراس فارس شجاع يقدم على المعارك بكل قوة وبأس، وقوته وبأسه يستمدهما من قوة سيف الدولة، فالكناية هنا تدل على صفة الشجاعة التي يتحلى بها أبو فراس، وتدل على شجاعة سيف الدولة الذي يركن إليه أبو فراس.

ويقول أيضا:

اقْرَأالسَّلامَ علَى الدِّينَ سيُوفُهمْ يَومَ الوَغَى مَهجُورَةُ الأَجْفَانِ[1]

وفي هذا البيت كناية عن صفة يريد أبو فراس إعطاءها لبني حمدان وهي صفة الشجاعة، فهم لم يعتادوا أن ينتظروا العدو حتى يهجم عليهم، فهم أحق ببدء الحرب على العدو.

ويقول أيضا:

وشَقَّ إلَى تغْرِالدُّمسْتُقِ جَيشهُ بأرضِ سُلاَمٍ والقَنَا مُتشَاجَرُ

سقَى أرسَناسًا مِثلُهُ مِن دِمَائِهِمْ عشِيَّةَ عضَّتْ بالقُلُوبِ الحنَاجِرُ[2]

وفي هذين البيتين عدة كنايات تدل على سرعة الجيش وكثرة القتلى، وقوة المعركة، استيلاء الخوف على قلوب الأعداء وكل هذه الصفات تجتمع لتدل على معنى واحد وهو شجاعة الجيش وقائده.

6- الموسيقى:

يختف الشعر عن النثر بعنصر الموسيقى وهذه الأخيرة تعدّ من أقوى عناصر الشعر، إذ غاية الشعر التعبير عن تجربة انفعالية، والإيقاع هو الوسيلة المثلى للتعبير عن هذا الانفعال وينطوي على قيمة فنية تعبيرية خاصة.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص282 .

(2) المصدر نفسه، ص 111

والشاعر يلجأ إلى الموسيقى لأنها "تهب الكلام مظهر من مظاهر العظمة والجلال، وتجعله مصقولا مهذبا، تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، وكل هذا مما يثير منا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مرارا وتكرارا"(1).

فالشعر كلام موزون مقفى، تأنس النفس لسماعه، ويتأثر القلب له، والشعر الموزون من الإيقاع يساعد على الطرب خاصة إذا كان في تآلف وانسجام فإنه ينتج شعرا رائعا تهفو له النفس وتتفاعل معه.

أنواع الموسيقى:

أ- الموسيقى الخارجية:

تتمثل الموسيقى الخارجية في الوزن والقافية، "والوزن هو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت ويعد أهم أركان القصيدة، ولا يقوم الشعر إلا به، فهو أعظم أركان حدّ الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"(2).

ويعد الوزن من أهم الأركان الشعرية والتي يبني عليها الشاعر قصائده حتى تأتي على ضرب من السمة والخيال، ويجد الشاعر حريته وقدرته في التصرف.

وقد نظم أبو فراس الحمداني شعره على عشرة بحور جاء في مقدمتها (بحر الطويل/بحر الكامل/ بحر الوافر/ بحر البسيط/ بحر المتقارب/ بحر المنشرح/ بحر السريع/ بحر الرمل/ بحر الهزج/ بحر المجتث).

وكان بحر الطويل أكثر البحور استيعابا لتجربة أبي فراس وسمي بالطويل لأنه أتم البحار استعمالا، وتفسير ذلك أنه لا يدخله الجزء وهو حذف العروض والضرب من البحر، ولا يدخله الشطر، وهو حذف نصف تفاعيل البيت، ولا يدخله النهك وهو حذف الثلثين منه وإبقاء الثلث.

---

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط2، مكتبة الأنجل مصرية ، 1952م، ص14.

(2) علي عبد الحميد مراشدة: في الشعر الحديث (محمود سامي البارودي)،ط1، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، ، 2009م، ص259.

وبحر الطويل "يؤثر على غيره من البحور، ويتخذه الشعراء ميزانا لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن"[1]. وقد ظهر بحر الطويل بصورة ملفتة في قصيدة كتبها يهنئ فيها يسف الدولة بإيقاعه بالقبائل العاصية له، ويفخر به وبنفسه وقومه الواليين ووقائعهم يقول في مطلعها:

لَعَلَّ خيَالَ العَامِريَّةِ زائِرُ فيَسعَدُ مَهْجُورٌ، ويُسْعَدُ هَاجِرُ[2]

ومن البحور التي أكثر من استعمالها أبو فراس هو بحر الكامل وهو أكثر البحور جلجلة وحركة، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر. ومثال ذلك قول أبي فراس:

فعَلَ الجَميلَ ولمْ يَكُنْ منْ قَصْدِهِ فَقَبِلتُهُ وقَرَنْتُهُ بِذنُوبِهِ[3]

أما بعد الوافر فهو ألين البحور يشتد إن شددته، ويرق إذا رققته، ويصلح هذا البيت في حالات الاستعطاف وإظهار الغضب أو البكاء. مثل قول الشاعر:

وَزائِرٍ حَبَّتهُا غْبَابُهُ طَالَ علَى رَغْمِ السُرَى اجْتِنَابُهُ[4]

هذه أكثر البحور العشرة بروزا أو استخداما في شعر أبي فراس الحمداني.

القافية: هي "من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن"[5]. ويعد حرف الروي أهم وحدة صوتية في القافية، فهو موضع التوقف وآخر ما يطرق الأذن من البيت، ولأهميته في القصيدة سميت القصيدة به، فيقال: قصيدة بائية، رائية، دالية.....

---

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص189.

(2) ديوان أبي فراس الحمداني، ص102.

(3) المصدر نفسه، ص50.

(4) المصدر نفسه، ص47 .

(5) حسن عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي دراسة فنية عروضية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1989مج1، ص149.

وقد اختلف حروف الروي عند أبي فراس الحمداني مثل: الهمزة، الباء، الثاء، الحاء، الدال، الراء، السين، العين، الفاء، الكاف، اللام، الميم والنون.

والملاحظ يدرك أن حرف الباء أكثر حروف الروي ظهورا في شعر أبي فراس. يقول:

أَبيْتُ كَأنِّي للْصَّبابَةِ صَاحِب وَللنَّوْمِ مُذْبَانَالحَليطُ، مُجَانبُ[1]

وقد استعمل أبو فراس الحمداني نوعي القافية (المطلقة والمقيدة)، فأمل المطلقة فتبين حب أبي فراس في إطالة الصوت والانطلاق فكانت لها نسبة كبيرة من الحضور. ومن ذلك قوله:

وَهَل لِقضَاءِ اللهِ فِي النَّاسِ غَالبٌ وهَلْ مِن قَضَاءِ اللهِ في النَّاسِ هَارِبُ
علَى طُلاَّبِ المَجْدِ من مُستقَرِّهِ ولا ذَنبَ لِي إنْ حَارَبتْنِي المَطالِبُ[2]

ب- <u>الموسيقى الداخلية:</u>

تحدث الموسيقى الداخلية جرسا موسيقيا لما تشتمله من محسنات بديعية من جناس وطباق وتصريح وغيرها، فيتأثر معها المتلقي ويتفاعل معها، فالألفاظ والكلمات ذات النغم والجرس المنسجم والمتسق يتلقاها القارئ ويعقلها قبل غيرها.

والمحسنات البديعية إنما هي قيم تعبيرية تؤدي إلى تأثير معنوي فاستمت أشعار أبي فراس الحمداني بالكثير من الوضوح والسهولة وصدق التجربة والعاطفة، وقد اهتم بألفاظه واعتنى بها فهو شاعر مطبوع، يقول ابن الأثير: "اعلم أن العرب كما كانت تعنى بالألفاظ فتصلحها وتهذبها، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها، وأشرف قدرا في نفوسنا.... فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها، وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني"[3].

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص35 .

(2) المصدر نفسه، ص37 .

(3) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، دار النهضة، مصر، د ت، ج2، ص68.

فكانت قصائد أبي فراس متميزة بحضور تلك المحسنات، بعد أن اختار من الألفاظ والمعاني ما تؤدي وقعا داخل القصيدة، ونتعرض لبعض ما كان له من تأثير على الإيقاع الداخلي لقصائد أبي فراس الحمداني.

- **الجنـاس:**

"الجناس هو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى"[1] بمعنى أن اللفظين تكون كتابتهما متشابهة، غير أنهما مختلفان في المعنى والدلالة.

وهناك نوعين من الجناس، جناس تام: وهو الذي يعتبر "توازن وتماثل كامل في الشكل والصورة الخارجية ويعتمد التكرار والإعادة"(2)، أما النوع الثاني: هو الجناس الناقص وهو "ما تغيرت فيه صورة الجناس التام في عناصر تشكيلته الأربعة"(3). وقد ورد الجناس في قصائد أبي فراس، فهو ظاهرة صوتية تزيد في النغم الموسيقي داخل قصائده، ومن ذلك قوله:

ولاَ أنَا، منْ كلِّ المَطاعِمِ طَاعمٌ ولاَ أنَا منْ كلِّ المَشَارِبِ شَاربُ[4]

وكذلك قولـه:

نُنَكِّبُ عنْهُنّ َفُرسانَهُنَّ ونَبدَأُ بالأَخِيرِ الأَخْيَرِ[5]

لقد كثر الجناس في شعر أبي فراس الحمداني على اختلاف أنواعه من تام وناقص، فأضفى جرسا موسيقيا ممتعا متسما بإيحاءات ودلالات عبرت عن شعور وأحاسيس أبي فراس.

---

(3) المرجع نفسه، ص577.

(4) ديوان أبي فراس الحمداني، ص38.

(5) المصدر نفسه، ص147.

فكَان ثَبَاتُهُ للقَلْب ِقَلْبًا وهَيْبتُهُ جَنَاحًا للجَنَاحِ[1]

فهناك جناس بين الكلمتين (قلب)، فأما الأولى فقد قصد به قلب الجيش، و(قلب) الثانية أراد بها العضو في الجسم والقصد منه القوة والشجاعة. وجانس بين الكلمتين (جناح) الأولى هي جناح الجيش و(الجناح) الثانية أراد بها جناح الطائر، وقصد منه إلى معنى السرعة والحركة والخفة.

- **الطبـاق:**

وهو الجمع بين المتضادين، أو هو"الجمع بين معنيين سواء أكان ذلك التقابل تقابل تضاد أم لضاد الإيجاب والسلب، وسواء كان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا"(2).

وبالتطابق يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين، يتنافى وجود معناهما معا في شيء واحد وفي وقت واحد، معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل تضاد أم الإيجاب والسلب.

وقد ذكر الطباق في شعر أبي فراس كقوله:

ومَا زِلتُ أرْضَى بالقَليلِ مَحَبَّةً لَدَيْهِ ومَا دُونَ الكَثيرِ حِجَابُ[3]

فقد طابق بين كلمتي (القليل) و (الكثير)، ليظهر الفرق بين ما كان يقدمه سيف الدولة، وما صار إليه الأمر بعد الأسر.

ويقول أيضا:

وَشرُّ عَدُوِّيكَ الذّي لا تُحَارِبُ وخَيْرُ خَلِيلَيْكَ الذّي لاَ تُنَاسِبُ[4]

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص69.
(2) عبد العاطي غريب الله، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة بنغازي تونس، ط1، 1997م، ص162.
(3) المصدر السابق، ص26 .
(4) المصدر نفسه ، ص35 .

ويقول:

أَمَرَّ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمْنًا أذَاقهُم بِهِ أَرْيًا وَصَابَا[1]

فهناك طباق بين (خوفا وأمنا).كما طابق بين:

شَرَيْنَا وَبِعنَا بِالسُّيوف نُفوسَهُم وَنَحْنُ أُنَاسٌ بالسُّيُوفِ نُتَاجِرُ[2]

الشاعر وبجمعه من الألفاظ المتطابقة بين لنا قدرته على نقل صورته الواقعية لفروسيّته، لهذا كان للطباق أثر في إحداث جرس موسيقي وإبراز المعنى والتأكيد على الشجاعة والكرم.

- **التكرار:**

التكرار من الموسيقى الداخلية، يقول ابن رشيق: "لا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة الشوق والاستعذاب"[3]، والتكرار إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها. وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال.

فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها.

وهذا ما هو ظاهر على شعر أبي فراس عند تكراره للمعاني والأوصاف، فنجده يركز على بعض المعاني والصفات المثالية وقد عمل على إبرازها مثل: الشجاعة والكرم

والشوق ... وغيرها، وهذا التكرار يدل على أصالة هذه المعاني وحيويتها لا يمكن الاستغناء

(1) ديوان أبي فراس الحمداني: ص18.

(2) المصدر نفسه، ص118 .

(3) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ط1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، 1401هـ-1981م،ج2، ص74.

عَلَوْنَا جَوْشَنًا بِأشَدَّ مِنْـهُ وَأثبَتَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرِّمَاحِ

بِجَيْشٍ جَاشَ بِالفُرسَانِ حتَّى ظَنَنتُ البَرَّ بَحْرًا مِنْ سِلاَحِ

وَأَرْوَعَ جَيْشُهُ لَيْلٌ بَهِيمٌ وَغُرَّتُهُ عَمُودٌ مِنْ صَبَاحِ[1]

لفظة الجيش تكررت كثيرا في شعر أبي فراس فهو يفتخر بجيش سيف الدولة الذي ينتمي إليه كثيرا من الفرسان الشجعان، وهذا التكرار أضفى على شعره نغما موسيقيا عبر من خلاله عن تجربته.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص69.

(1) ديوان أبي فراس الحمداني: ص69.

* الخاتمة *

كان بحثنا هذا رحلة استكشافية لفروسيّة وبطولات أبي فراس، حاولنا الكشف عنها من خلال شعره الذي جاء في أكثره مصوغا لهذا الغرض.

وفي ختام بحثنا اهتديت إلى محصلة من النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وهي كالآتي:

- شغل شعر الفروسيّة حيزا كبيرا في شعر أبي فراس.
- أبو فراس شاعر فحل من فحول الأدب العربي، فهو شخصية فذة تركت بصماتها خالدة.
- الفروسيّة صفة لازمت العربي منذ القديم فهي مجده وفخره ونسبه.
- جمع أبو فراس في شعره بين أصالة القديم وعذوبة الجديد، فكان ذا طابعة غير متكلفة.
- كان شعره مكسوا بلفة بديعية حملت في طياتها رونقا وجمالا.
- الصورة الشعرية عند أبي فراس متنوعة ومتميزة فغطى شعره الكثير من الصور المختلفة، حيث ظهرت صوره بطابع محافظ تأثر به قارءوه.
- أسهمت الموسيقى بنوعيها (الداخلية والخارجية) في إثراء شعره وإعطائه بعدا جماليا. فهذه الأخيرة أضفت جرسا موسيقيا عذبا على أشعار الفروسيّة.
- استعمل الشاعر الكثير من الأساليب كالاستفهام والنداء وغيرها ليعبر عن فروسيته وشجاعته.
- لشعر الفروسيّة أهمية كبيرة، كونه عبر عن عاطفته وتجربة صادقة وضحت لنا الارتباط الوثيق والكبير بين الشاعر والفروسية.

- فروسيّة الشاعر أعطت شعره لونا خاصا، وجعلت قصائده قادرة على تحقيق أغراضها وهي متعة القارئ، وذلك بتذوقه لجمالية القصيدة، وجعله يتفاعل وينسجم معها، وبالتالي إقناعه بقدرة الشاعر على الغوص في النفس والوجدان، وترك بصماته النفسية فيه.

وفي الأخير أختم بحثنا هذا وعلى أمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت ولو بالقدر القليل في إثراء عالم الأدب والبحث الفني الثري.

- - والحمد لله رب العالمين- -

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع الفروسيّة عند أبي فراس الحمداني، وهو موضوع غني وثري من حيث المفاهيم. وكانت قصائد أبي فراس منهجا للتحليل والبحث والتطبيق، من أجل إبراز أهم مضامين الفروسيّة، وكذا العلاقة التي ربطت بينها وبين الشعر.

قامت هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، والمنهج الفني المناسبين لهذه الدراسة.

واستقام البحث في مدخل وفصلين، فكان المدخل عبارة عن تعريف للفروسية من حيث اللغة والاصطلاح وإعطاء لمحة طفيفة لحياة أبي فراس.

أما الفصل الأول، فعملت على دراسة مضامين الفروسيّة من حيث صور الفارس وصور الحرب وأدواتها كما تطرقت إلى تبيان العلاقة بين الفروسية والشعر.

أما الفصل الثاني، فقمت فيه بالتعرف على فروسيّة الشاعر من خلال دراسة بعض الخصائص الفنية لشعر الفروسيّة، والتي تمثلت في معرفة الدلالات اللفظية والمعنوية في بناء قصائده، ودراسة الصورة الشعرية وتبيان التطور الموسيقي في قصائد أبي فراس.

RÉSUMÉ

Cette étude a abordé le sujet de l'équitation chez ABI- FIRRAS AL-HAMADANI, c'est un sujet très riche en notions. On a considéré ses poèmes comme une méthodologie d'analyse, recherche et application afin de monter deux des plus importantes définitionsde l'équitation aussi que la relation entre cette dernière et la poésie.

Cette étude est basé sur la méthode analytique et Artistique qui ce convient avec ce thème alors on a divisé cette recherche à une introduction et deux chapitres.

L'introduction a donné une définition de l'équitation linguistique et conventionnelle avec un coup d'œil sur la vie d'ABI FIRRAS.

Le premier chapitre est consacré pour étudier les contenus d'équitation à travers les images du cavalier, la guerre et ses outils clarifiant la relation entre l'équitation et la poésie. Le deuxième chapitre a discuté l'équitation du poète à travers l'étude de quelques caractéristiques artistiques de celles de la poésie de l'équitation qui était représentées par la signification verbales et morales dans les poèmes en question avant de terminer par l'étude de l'image poétique et le développement musical dans les poèmes de ABI FIRRAS.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- **المعاجم**

1. إبراهيم حسن الزيّات وآخرون، معجم الوسيط، ط2، دار الدعوة، اسطنبول–تركيا، 1989م.
2. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1424هـ–2003م، ج3.
3. ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار الصبح، لبنان، 2006م.

- **المصادر:**

1. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي،ط1،، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1986م.
2. الجاحظ، الحيوان، ط1، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، 1356هـ–1937م.
3. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، 1401هـ–1981م، ج2.
4. زكرياء القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط4، تحقيق: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، 1401هـ–1971م.
5. طرفة بن العبد، الديوان، دار صادر، بيروت.
6. أبي فراس الحمداني، الديوان، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالوية، دار صادر، بيروت.

7. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، د ط، د ت، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
8. محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ط2،قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر ،دار المعارف،القاهرة_مصر ،1952م.
9. المهلهل بن ربيعة، الديوان، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية.

- **المراجع:**

1. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط2، مكتبة الأنجل مصرية، 1952م.
2. أحمد أمين، النقد الأدبي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م.
3. أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر.
4. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبيط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ، 1973م.
5. أحمد محمود المصري، رؤى البلاغة العربية، دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007م.
6. أحمد الهاشمي، جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون الإسكندرية، د ط، د ت.
7. بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ط2 مكتبة أنجلو المصرية، 1377هـ–1958م.
8. أبي البقاء العكبري، ديوان أبي الطيب المتنبي، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي.
9. حسن عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي دراسة فنية عروضية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1989م، ج1.

10. أبي الحسن علي إسماعيل،المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.
11. حمد بن ناصر الدخيل، دراسات ومقالات في الأدب العربي، ط1ن 1420هـ-1993م.
12. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، ، 2004م.
13. سعود محمود عبد الجابر، الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ط1، جامعة قطر، 1401هـ-1981م.
14. صلاح فضل، علم الأسلوب، ط1، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، 1419هـ-1998م.
15. ضياء الدين عبد الرزاق الغاني، الصورة البدوية في الشعر العباسي، ط1، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2010م.
16. عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر، 1421هـ-2000م.
17. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ط2، دار الفكر العربي، 1379هـ-1958م.
18. عبد العاطي غريب الله، دراسات في البلاغة العربية، ط1، منشورات جامعة بنغازي، تونس، 1997م.
19. عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية (وثلاثية الدوائر البلاغية)، ط1، دار صفاء، عمان-الأردن، 2002م.
20. علي أحمد علام، شعراء فرسان تحت راية الإسلام، ط1، دار الوفاء الدين الطباعة والنشر، 2001م.
21. علي عبد الحميد مراشدة، في الشعر الحديث (محمود سامي البارودي)، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2009م.

22. عبد المعين الملوحي،اللاميتان، ط1، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1966م.
23. عبد المنعم حافظ الرجبي،الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، دكتوراه جامعة القاهرة، د ط، 1979م.
24. عهود عبد الواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة.
25. عمر الدسوقي، الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، ط4، دار النهضة، مصرللطبع والنشر القاهرة.
26. فراس السواح، لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط6،دار علاء الدين، دمشق، 1996م.
27. فراس السواح، مغامرات العقل الأولى (دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين)، ط11، دار علاء الدين، دمشق، 1996م.
28. فوزية بومزار، مفهوم الفروسية في التراث العربي و أثره في فروسية القرون الوسطى في أوروبا، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986 م
29. ابن الكلبي: الأصنام، تحقيق الأستاذ أحمد زكي، الدار القومية للطباعة.
30. محمد شهاب الهاني، الشعر السياسي الأندلسي عند ذي الذمة، دار الصفاء للنشر و التوزيع، عمان – الأردن، 1431 هجري – 2010 م.
31. محمد مجيد السعيد، الشعر في عصر المرابطين و الموحدين.
32. منذر العياشي، الأسلوبية و تحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري ط1، 2002 م.
33. أ[illegible]
محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1403 هجري – 1973 م، ج1.
34. نعمان عبد المتعالي القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، مصر، 1965 م.

35. هادي نهر، مع المتنبي شعر الحماسة و الحكمة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2010 م.

الرسائل الجامعية:

1. نايف حمدان أحمد عويضات،صورة البطل فيشعرعنترة بن شداد العبسي،رسالة ماجيستير،جامعة القدس 2000 م.

2. نوال الثمالي،الذات والآخر في روميات ابي فراس الحمداني،مذكرة ماجستير في قسم الأدب لإشراف مصطفى عناية،جامعة ام القرى،مكة المكرمة،1432ه.

الفهـــرس

- مقدمة ..... أ – ب
- مدخل 01

❖ **الفصل الأول : صورة الفرس و علاقته بالشعر**

1. صورة الفارس 12
2. صور الحرب و أدواتها 25
3. علاقة الفروسية بالشعر 37

❖ **الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشعر الفروسية**

1. التجربة الشعرية 48
2. العاطفة 51
3. اللغة 54
4. الأسلوب 59
   1.4. الإضطراد 60
   2.4. الإقتباس 61
   3.4. أسلوب النداء 62
   4.4. أسلوب الإستفهام 63
   5.4. أسلوب التمني 64
   6.4. أسلوب النهي 65
5. الصورة الشعرية 65
   1.5. التشبيه 66
   2.5. الإستعارة 69
   3.5. الكناية 70
6. الموسيقى.....71
   1.6. الموسيقى الخارجية 72
   2.6. الموسيقى الداخلية 74

* الخاتمة 79
* الملخص 81
* قائمة المصادر و المراجع 83